النسخة السابعة

مصححة منقحة معدلة مزيدة

التجارة الرابحة في عصر فساد البلاد وخسر العباد

تفسير موضوعي لسورة العصر وآية الفساد في سورة الروم

إعداد:

كريم امصنصف

النسخة السابعة

التجارة الرابحة في عصر فساد البلاد وخسر العباد

تفسير موضوعي لسورة العصر وآية الفساد في سورة الروم

"تحدث للناس أقضية
بقدر ما أحدثوا من فجور"
عمر بن عبد العزيز

إعداد:
كريم امصنصف

كريمكناس 79 ناشرون

---

karimeknes79.editeurs@gmail.com
karimeknes79editeurs@yahoo.com

عنوان الكتاب: **التجارة الرابحة في عصر فساد البلاد وخسر العباد**

العنوان الفرعي: **تفسير موضوعي لسورة العصر وآية الفساد في سورة الروم**

التصنيف: **علوم القرآن والتفسير**

المؤلف: **كريم امصنصف**

التدقيق اللغوي: **أناغيم الحمد – آسية خميس – عائشة رمضان**

الناشر: **كريمكناس79 ناشرون الخاصة والمحدودة للنشر الإلكتروني الحر للدراسات الإسلامية**

النسخة السابعة 2022 م (نسخة خاصة مصححة منقحة معدلة مزيدة)

عدد الصفحات: **100 ص، 14x21 سم.**

إبين: 1-71-7-221010

بعض حقوق التأليف محفوظة

رخصة المشاع الإبداعي العمومية CC BY NC ND 4.0 الدولية للاستخدام غير التجاري، تسمح بالمشاركة بأي وسيلة أو تنسيق (نسخ وتوزيع ونقل العمل لأي وسط أو شكل)، دون تعديل (المزج، التحويل، والإضافة على العمل)، مع نَسْبُ المُصنَّف للمؤلف (بطريقة مناسبة، وتوفير رابط للترخيص، وبيان إذا ما قد أجريت أي تعديلات على العمل).

EBIN: 1-71-7-221010

كريمكناس79 ناشرون

eP-eB / v.1: 2022.01.11

عنوان البريد الإلكتروني: **karimeknes79.editeurs@gmail.com**

karimeknes79editeurs@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: **https://sites.google.com/view/karimeknes79-editeurs**

https://karimeknes79editeurs.webnode.fr

صفحتنا على الفيسبوك: **https://www.facebook.com/karimeknes79editeurs**

قراءة ماتعة نافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأما بعد: إن الشريعة الإسلامية جاءت لعمارة الدنيا ولتحقيق الحياة الفاضلة الطيبة، ولذلك حرم الإسلام جميع صور الفساد لأن الفساد من الأمراض التي أرهقت الشعوب، وهو السبب الرئيس في هلاك الأمم، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر الظلم سببًا من أسباب هلاك الأمم السالفة، والظلم لفظ عام في وضع الشيء في غير موضعه، وهو يشمل الشرك وغيره من المعاصي إلا أن الشرك أعلى أصناف الظلم ولا ظلم أعظم منه.

وقد وردت كلمة الفساد ومشتقاتها خمسون (50) مرة في القرآن الكريم، والصيغ التي وردت هي: الفعل الماضي، ورد (4) مرات، والفعل المضارع، ورد (14) مرة، والمصدر، ورد (11) مرة، واسم الفاعل، ورد (21) مرة، وفي معظم الآيات ارتبط مصطلح الفساد بكلمة الأرض، فقد ورد الفساد بمعنى الكفر واختلال العلاقة مع الله ﷻ في عشر (10) آيات فقط، بينما الفساد في الأرض ورد في أربعين (40) آية من الخمسين، فالقرآن توسع في تعريف الفساد بحيث لا يقف عند حدود المعاصي الدينية وانحراف العقيدة، (رغم أنه اعتبر هذا النوع

من الفساد هو أساس كل فساد)، وإنما شمل معناه الفساد العقائدي، والأخلاقي، والسلوكي، والأمني، والاجتماعي، والاقتصادي، والحيوي، والبيئي، والعمراني، والإعلامي، والتعليمي، والتربوي... إلخ.

لقد شاع التعامل بالربا الذي يتسبب كل فترة بأزمات اقتصادية عالمية مدمرة، وكذلك تجارة الأسلحة المدمرة التي تثير الفتن والحروب، وأيضا انتشار الفساد الأخلاقي بأفلام الجنس والمجاهرة بالشذوذ الجنسي مما تسبب في انتشار الإيدز وغيره، فقد ملأ الفساد البر والبحر بالأنشطة الفاسدة للناس، وقد بدأ آثار ذلك يظهر على الإنتاج والبيئة البرية والبحرية، وبدأت الأجناس الحية تموت ويختل الاتزان الحيوي، وظهرت الأمراض الفتاكة على الإنسان والحيوان جراء هذا الفساد آخرها (كوفيد-19).

وإن علاج أي مرض يتوقف أساسا على معرفة أسبابه واستئصالها، ومن هنا تأتي أهمية هذا التفسير لسورة العصر وآية الفساد في سورة الروم المعنون بـ: (التجارة الرابحة في عصر فساد البلاد وخسر العباد) في عصر ظهر فيه الفساد في البر والبحر، للوقوف على أسبابه وانعكاساته على البلاد والعباد، والسبيل إلى الخلاص منه، وهو تفسير جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير إذ عملت على جمع وترتيب المادة العلمية من مظانها الأصيلة، وبذلك لم أكن مبتدعا لقول وإنما جماعا متبعا لخير السلف مع مراعاة التحقيق والتنقيح على ما أقف عليه من نقول. فجاء هذا التفسير

مبسوطا مبسطا، ميسرا ومقربا الأقوال للأفهام، وبهذا لم يكن عملنا بدعا عن مقاصد التأليف السبعة التي نظمها بعضهم قائلا:

ألا فاعلمن أن التأليف سبعة *** لكل لبيب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ *** وإبداع حبر مقدم غير ناكص
وترتيب منثور وجمع مفرق *** وتقصير تطويل وتتميم ناقص
فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

إعداد: أذ. كريم امصنصف
مدرس علوم القرآن والتفسير
حرر بمكناس العاصمة الإسماعيلية

في: 2022/01/11 م

﴿ تفسير سورة العصر ﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: 1-3].

التعريف بالسورة

سورة العصر قد سميت بهذا الاسم؛ لأنها استهلت به[1]، وقد اختلف في مكان نزولها، فذكرت بعض الروايات عن مجاهد وقتادة ومقاتل وإحدى الروايتين عن ابن عباس أنها مدنية، غير أن أسلوبها يدل على مكيتها، وهو ما عليه ابن عباس وابن الزبير وجمهور المفسرين، وذكر إبراهيم البقاعي في

[1] يذكر بعض المفسرين في ربط اسم السورة بمضمونها أنه جعل القسم بالعصر وهو العشي اسما للسورة ليدل على قصر مدة عيش الإنسان في الحياة الدنيا، لدعوته على تدارك ما بقي من عمره ليؤمن ويعمل صالحا، وإلا كان من الخاسرين، وهو أنسب وقت يقسم به لهذا السياق لأنه الوقت الفاصل بين آخر النهار وأول الليل، وكأنه يعلن عن انتهاء حياة ويؤذن ببدء أخرى، فالدنيا في إدبار والآخرة في إقبال، ليحث الإنسان على الثوبة عما سبق فيما تبق من النهار، وكما ابتدأت السورة بالقسم بالعصر للدلالة على قصر حياة الإنسان أُخْتُتِمَت ببيان أن من قواعد المنهج الرباني لتحقيق الربح التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكأن أحدهم لا يدري متى ينتقل من هذه الحياة القصيرة، فيوصي إخوانه بالتمسك بالحق والصبر عليه ليتحقق لهم الربح جميعا يوم القيامة، وفي هذا حسن البدء والختم، (قارن بدلالة أسماء السور القرآنية: لعمر علي حسان عرفان).

(مصاعد النظر) الإجماع على ذلك، ولم يذكرها السيوطي صاحب (الإتقان) في عِداد السور المختلف فيها، وعُدَّت الثالثة عشرة في عِداد نزول السور، فقد نزلت بعد سورة الانشراح وقبل سورة العاديات، والسّورة محكمة لا نسخ فيها[1].

وهذه السورة من أجلِّ سور القرآن العظيمِ وأوجزها لفظًا[2] وأكثرها معنًى وحكمة وبيانًا، ففي هذه السورة ذات الآيات الثلاث تِبيان لحقيقة الربح والخسارة

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، وقارن بتفسير زاد المسير: لابن الجوزي. (قلت): وسورة العصر جميعها محكم، ونقل اختلاف المفسرين فيها ابن حزم الأندلسي في (الناسخ والمنسوخ)، ومرعي الكرمي المقدسي في (قلائد المرجان)، إذ قال الأكثرون ليس فيها منسوخ، وزعم البعض ومنهم ابن سلام المقري في (الناسخ والمنسوخ) أن المنسوخ فيها آية واحدة وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾، منسوخة بالاستثناء الوارد في الآية التي تليها مباشرة وَهُوَ قَوْله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾، وهذا الزعم باطل، وخلط بين النسخ والتخصيص، وَفِيه مَا فِيهِ؛ إذ يقول ابن حزم: "النسخ إنما يقع في الأمر والنهي ولا يجوز أن يقع في الأخبار المحضة، والاستثناء ليس بنسخ... وسمى بعضهم الاستثناء والتخصيص نسخا، والفقهاء على خلاف ذلك". وأشار السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن (النوع: 47) إلى نحو ذلك بقوله: "وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ.. كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾".

[2] "سورة العصر أقصر سورة في القرآن (باعتبار البنية التركيبية)؛ لا تشتمل إلا على جملة واحدة مسورة بقسم، ومذيلة باستثناء". (انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف).

في الحياة، وتنبيه على أهمية الوقت الذي يعيشه الإنسان، ويتمثل فيها منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام[1].

فضائلها

وفضلها ورد فيه أَحاديث منكَرة تركناها لذلك، وقال النووي في رياض الصالحين: "قال الإمام الشافعي كلاما معناه: إن الناس –أو أكثرهم– في غفلة عن تدبر هذه السورة"، ولفظه عند ابن كثير قال الشافعي: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"، وعند ابن قيم الجوزية بلفظ آخر قال الشافعي: "لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم"[2].

"يعني: كفتهم موعظة وحثًا على التمسك بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك. وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في

---

[1] قارن بتفسير في ظلال القرآن: لسيد قطب، وتفسير حدائق الروح والريحان: للهرري.

[2] انظر: رياض الصالحين: للنووي، باب في التعاون على البر والتقوى، ص: 122، وتفسير ابن كثير: 515/4، ومفتاح السعادة: لابن القيم: 90/1. (قلت): وهذه المقولة لا يوجد لها أثر في مصنفات الشافعي وينسبها العلماء له في مؤلفاتهم بعبارة متقاربة وإن اختلفوا في اللفظ فقد اتفقوا في المعنى. وقارن برواية ابن قيم الجوزية: "لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم"، التبيان، ص: 54، وفي رواية آخر: "لو فكر الناس في سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ لكفتهم"، إغاثة اللهفان، ص: 45، وفي رواية محمد بن عبد الوهاب بلفظ: "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" الأصول الثلاثة، ص: 3.

جميع الشريعة، لكن كفتهم موعظة"[1].

"وفي قول الشافعي إشارة إلى شمولية السورة رغم قصرها، وهذا بيان لبعض وجوه تلك الشمولية:

1- الشروط الأربعة للنجاة -مثل الجهات الأربع- محيطة بالإنسان، فما من ملكة في الإنسان إلا وقد دخلت في وطيس الاختبار:

فـ: (الإيمان) اختبار للقلب، و(العمل) اختبار للجسد، و(الحق) اختبار للعقل، و(الصبر) اختبار للنفس.

2- الشروط واقعة على كل المجالات:

المجال الباطني والظاهري، والمجال العلمي والعملي، والمجال الفردي والجماعي.

تتحقق الشمولية أيضا في استيعاب السورة للوضع الإنساني العام:

فهي تجيب على السؤالين الجذريين: الوجودي والخلقي.

السؤال الأول: ما وضع الإنسان؟

---

[1] انظر: تفسير القرآن الكريم (جزء عم: سورة العصر): للعثيمين.

الجواب: إن الإنسان لفي خسر.

السؤال الثاني: ما السلوك الذي ينبغي أن يصدر عنهم في هذه الحال؟

الجواب: يؤمنون ويعملون صالحا ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر.

فإذا أدرك الإنسان وضعه، وعلم ما يتعين عليه فعله، فقد أحاط إجمالا بكل شيء يتعلق به.

ولعل هذا المعنى هو الذي خطر ببال الشافعي عندما قال: (لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم)"[1].

مناسبتها

ومناسبتها لما قبلها أنه لما بين ﷻ في سورة التكاثر حال من اشتغل بأمور الدنيا –بالتفاخر والتكاثر وبكل ما من شأنه أن يلهي عن طاعة الله– والتهالك عليها مذموم، ذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شر نفسه، فكأن هذا تعليل لما سبق إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، ويبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان بالله

[1] انظر: مقال: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، منشور في: 2013/05/13 – 20/09/2014، بملتقى أهل التفسير، بتصرف.

والأعمال الصالحات وكف النفس عن المناهي، والتواصي مع الإخوان على الاستمساك بِعُرى الحق، والاصطبار على مكارهه، وفيه إشارة إلى طريق النجاة[1].

المعنى الإجمالي

في سورة العصر أقسم الله ﷻ بالزمان؛ لكثرة ما انطوى عليه من عِبَر، ولما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن كل إنسان لفي نوع من الخسران؛ لما يغلب عليه من الأهواء والشهوات فهو في نقص وهلاك. إلا الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأقاموا على الطاعات، وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق اعتقادا وقولا وعملا، وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على المشاق التي تعترض من يعتصم بالدين، فهؤلاء المتصفون بهذه الصفات ناجون من الخسران في حياتهم، مفلحون في الدنيا والآخرة.

البيان التفصيلي

- **الناس في هلاك وخسران إلا من استثناهم رب العالمين**

۞ قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾

[1] قارن بتفسير: المراغي، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري.

هذا قسم وفي معناه "قيل: المراد (ورب العصر) فذكر المضاف إليه وترك ذكر المضاف إيجازا وإن ربنا تعالى جده لجدير بأن يقسم به وقد عزي هذا إلى كثير من المفسرين. قلت (الكافِيَجي): وعلى هذا أن يقال: ما الداعي إلى ارتكاب هذا النوع من المجاز وهو مجاز الحذف، مع أن الأصل عدمه، والقسم بنفس العصر حقيقة ممكن لا محذور فيه؟"[1]، وقد أقسم الله ﷻ بالعصر قسما يراد به تأكيد الخبر، والمقسم به من مظاهر بديع التكوين الرباني الدال على عظيم قدرته وسعة علمه[2]. ويجوز على الله ﷻ أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير خالقه، لقوله ﷺ: «من كان حالفا، فليحلف بالله أو ليصمت» [صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف].

---

[1] ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 545-546، بتصرف بسيط.

[2] أقسم الله بالعصر لأنه أكبر شاهد على ما أقسم عليه وهو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، وقالت عائشة بنت الشاطئ: "لم يتعلق (الطبري) في تفسيره بفكرة عظمة العصر التي سيطرت على جمهرة المفسرين بعده، فراحوا يتأولون وجه العظمة في العصر على اختلاف الأقوال في تفسيره. وقد جمع الرازي ستة وجوه في عظمة العصر بمعنى الدهر، وثلاثة أوجه في عظمته بمعنى الوقت المعين من النهار، وستة في صلاة العصر، ثم بين وجه عظمته إن كان مرادا به عصر النبوة... وترى أنهم حملوا لفظ العصر كل هذه التأويلات الفلسفية والإشارية مما لا نتصور أن القرآن الكريم لفت إليه بلفظ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾. وفي البيان القرآني من آيات الليل والنهار ما يجلو الحكمة فيهما بما يفهمه الناس بأيسر ملاحظة وتأمل"، (التفسير البياني للقرآن الكريم: 77/2، 79، بتصرف).

ومادة (عَصَر) لغة: استخرج ما فيه، والمعنى الأصلي للعصر القوة في صورة ضغطها لاستخلاص العصارة، وهذه القوة تكون العصر، والعَصْر يقع بحصر الشيء بين أشياء شديدة تحيط به، والمعنى المحوري: ضغط بثقل بالغ يُسِيلُ أو يُنْفِذُ ما في الأثناء من مائع ونحوه، والعَصْرُ: الدهر، والعصران: الليل والنهار، وقد قالوا بقوة الدهر حين قالوا: "وما يهلكنا إلا الدهر"، وحدثوا عن جذب الليالي وإفنائها الناس. ومن لطف مصدر العَصِير (أي أنه مختزن في الثمر خفي مع سيلانه شيئا فشيئا فيوحي بالاستمرار) عبر بالعصر عن (الدهر)، لامتداده هكذا، وقد ورد من المادة الزمن في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: 1-2]؛ حيث أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدهر، كما عبر به عما (بعد الزوال إلى احمرار الشمس)، لأن هذا الوقت نتيجة وامتداد لبلوغ الشمس أَوْجَهَا (نعني أقصى شدتها) في فترة الصبح إلى الظهيرة، ثم إن الشمس تبدو أو تظل هذه الفترة في انحدار كأنها تدفع أو تضغط حتى تغرب، ومن هذه الدلالة اللغوية الأصلية على الضغط والاعتصار، سُمي الدهر عصرا، بملحظ من استخلاصه عصارة الإنسان بالضغط والتجربة والمعاناة والابتلاء... وبهذا اللفت الموجه إلى ضغطة العصر ابتلاء، تأتي الآية بعده: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[1].

---

[1] قارن بمادة (عصر) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، ص: 1474-1475، وبمخطوطة الجمل: لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل: 3/134-135، وبالتفسير=

واختلف المفسرون في المراد بالعصر ها هنا على ستة أقوال:

القول الأول: أن العصر في كلام العرب هو (الدهر) أي: الزمان كله، وإنما أقسم بالدهر الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم؛ لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلالة على الصانع. فكأنه ﷻ أقسم على أن الدهر والعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها، إنما الخاسر المعيب هو الإنسان؛ لأنه بمضي العصر ينتقص عمره، فإذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك النقصان عن الخسران، ولذلك قال: لفي خسر[1].

وبنحوه عند الآلوسي في تفسيره قال: "وفي إضافة الخسران بعد قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ للإنسان إشعار بأنه صفة له لا للزمان، كما قيل:

يعيبون الزمان وليس فيه *** معايب غير أهل للزمان

وتعقب بأن استعمال العصر بذلك المعنى [أي الدهر] غير ظاهر"[2].

= البياني للقرآن الكريم: لعائشة بنت الشاطئ: 75/2، 80.

[1] انظر: التفسير الكبير: للرازي، وتفسير زاد المسير: لابن الجوزي، وتفسير النكت والعيون: للماوردي، وتفسير ابن كثير.

[2] قارن بقول الكافِيَجي في (ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر): "وقيل المراد (ما خُلِقَ في الدهر) فأقسم بالعصر لفظا وجميع ما في الدهر معنى،... ثم لعل وجه القسم به على=

قلت في كلامه نظر إذ قال مالك: "من حلف ألا يكلم رجلا عصرا لم يكلمه سنة، ولو حلف ألا يكلمه العصر لم يكلمه أبدا؛ لأن العصر هو الدهر"[1].

والقول الثاني: أنه (العشي) وهو أشهر إطلاق للفظ العصر عند ابن عطية والطاهر بن عاشور، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، أي: وقت صلاة العصر، وقيل: هي آخر ساعة من ساعات النهار، وينسب لمقاتل. وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال[2].

= هذا التقدير كونه مشتملا على الدلالة على ألوهيته ووحدانيته باختلاف أصنافه المختلفة والمؤتلفة من الجواهر والأعراض على وجه الإتقان"، ثم قال: "إن في تخصيص القسم بالدهر –إشارة إلى نفي ما كانت العرب عليه– من إضافتهم ما ينزل بهم من النوائب والمكاره إلى الدهر وإحالة شقائهم وخسرانهم عليه وسبهم إياه؛ اعتقادا منهم أن الذي أصلبهم من ذلك هو فعل الدهر، [و] بإقسام الله ﷻ به، فإن ذلك دليل على شرفه، وإن ذلك ليس من صنعه، بل هو نعمة خالصة لا عيب فيها، وإن الشقاء والخسران إنما هو من معنًى في الإنسان لا لمعنًى في الزمان، ولذلك نهى النبي ﷺ عن سب الدهر كما ثبت في صحيح مسلم وغيره [من حديث أبي هريرة: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر]"، (ص: 546–547، 554 بتصرف). وهذا القول تؤيده القراءة الشاذة: "والعصر ونوائب الدهر" وسيأتي ذكره بتمامه في ص: 54.

[1] انظر: أحكام القرآن: لابن العربي المعافري المالكي، (تفسير سورة العصر).

[2] انظر: تفسير النكت والعيون: للماوردي. (قلت): من ساعات النهار عند العرب الساعة الثانية مساء وتسمى العصر وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، والساعة الخامسة مساء وتسمى العشي وهو ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها. هذا وحكى مكي=

ويحتمل **قولا ثالثا:** أنه أراد (عصر الرسول ﷺ)؛ لفضله بتجديد النبوة فيه، وجوز ابن عطية وتبعه الطاهر بن عاشور أنه يراد به عصر الإسلام كله، "وهو خاتمة عصور الأديان لهذا العالم وقد مثل النبيء ﷺ عصر الأمة الإسلامية بالنسبة إلى عصر اليهود وعصر النصارى بما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس بقوله ﷺ: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء يعملون له يوما إلى الليل فعملت اليهود إلى نصف النهار ثم قالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك وما عملنا باطل، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا، واستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما فأنتم هم». ومناسبة القسم بالعصر؛ لغرض السورة على إرادة عصر الإسلام ظاهرة؛ فإنها بينت حال الناس في عصر الإسلام بين من كفر به ومن آمن،

= ابن أبي طالب (ت 437 هـ) في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية) عن قتادة قوله: "العصر ساعة من ساعات النهار"، ثم قال مكي: "يعني: العشي"، ونحوه مروي عن ابن عباس، وذكره أيضا الكافِيَجي قال: "وقيل: المراد به ساعة من ساعات النهار، ونقله بعضهم عن قتادة. قلت [الكافِيَجي]: وهذا بعد أن ثبت استعماله لغة مرادا به هذا المعنى على الوجه الذي سنذكره يحتاج إلى نُعْيَانِ كونه المراد هنا دون غيره من المرادات المحتملة، وما يوجب ذلك غير ظاهر فيما يظهر"، (ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 548، 550، بتصرف بسيط).

لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]"[1].

وفيه قول رابع: أنه أراد (صلاة العصر)، وهي الصلاة الوسطى وهو من باب حمل اللفظ على دلالته الشرعية –وهو ما عليه جماهير أهل العلم من السلف والخلف–؛ لأنها أفضل الصلوات؛ لأن بها يحصل ختم طاعات النهار، كما أن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم.

قال الكافِيَجي: "قد أورد على هذا (صلاة العصر فِعْلُنَا فكيف وقع القسم بها؟) وأجيب بأن القسم بها ليس من حيث إنها فِعْلُنَا، بل من حيث إنها أمر شريف تعبدنا الله به، وهو سبحانه يشرف ما شاء بما شاء، نعم!"[2].

القول الخامس: العصر: (اليوم والليلة)؛ أي: الليل والنهار[3].

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير، بتصرف. قلت: والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري بلفظ قريب منه.

[2] انظر: ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 546.

[3] قال الكافِيَجي: "والصواب على هذا أن يقال: الليل أو النهار، فتأمله، والأولى في توجيه هذا القول أن يقال: العصر قد يكون بمعنى الدهر، وقد ذهب ثعلب في أماليه إلى أن الدهر الزمان الليل والنهار لا غير ذلك"، (المرجع السابق، ص: 550).

والقول السادس: المراد بالعصر (أحد طرفي النهار)؛ أي: العصر بكرة، والعصر عشية، وهما (الأبردان).

فعلى هذا والقول قبله يكون القسم بواحد منهما غير معين.

القول السابع: ذكره الكافِيَجي قال: "وقيل: المراد به آخر عمر كل أحد حين يقصر بالفناء؛ لأن الأبد موقوف عليه ﷻ، ولا يخفى ما في هذا"[1].

ورجح ابن قيم الجوزية مستندا؛ إلى اللغة "القول الأول"، فقال في التبيان في أقسام القرآن: "وأكثر المفسرين على أنه الدهر، وهذا هو الراجح، وتسمية الدهر عصرا معروف في لغتهم"[2]، وبنحوه عند عبد الحميد كشك في رحاب التفسير، وكذا ابن كثير وعلق قائلا بعد ذكره للقول الثاني: "والمشهور الأول"[3]، وهو الأولى عند الشوكاني، وهو الأصح عند العثيمين، وكما لا يخفى فهذا اختلاف تنوع؛ إذ جلها أقوال متقاربة، وقد رجح ابن جرير الطبري العموم، فقال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر، والعصر اسم

---

[1] انظر: ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 548، 550، بتصرف بسيط.

[2] وذكر نحوه الكافِيَجي ثم قال معترضا: "وفيه نظر؛ لأن الظاهر أن مجموع يوم وليلة بدل من العصر، أي بدل الكل من الكل، وهو إنما يقتضي أن يكون كل منهما عصرا كما ذكرناه آنفا، لا أن يقال مجموع الليالي والنُّهُر من حين خلق جنس الليل والنهار إلى حين إعدامه وهو الدهر"، (ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 552).

[3] انظر: موسوعة التفسير بالمأثور.

الدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه".

وقال الطاهر بن عاشور: "للعصر معان يتعين أن يكون المراد منها لا يعدو أن يكون حالة دالة على صفة من صفات الأفعال الربانية، يتعين إما بإضافته إلى ما يقدر، أو بالقرينة، أو بالعهد، وأيا ما كان المراد منه هنا فإن القسم به باعتبار أنه زمن يذكر بعظيم قدرة الله –تعالى– في خلق العالم وأحواله، وبأمور عظيمة مباركة مثل: الصلاة المخصوصة أو عصر معين مبارك... وهذه المعاني لا يفي باحتمالها غير لفظ العصر".

ولقد رأينا لبعض المعاصرين[1] كلاما نفيسا ينتصر فيه للقول الثاني بعد أن عرض قول عائشة بنت الشاطئ ثم دحضه، وهو كلام طويل ننقله بتصرف:

---

[1] هو أبو عبد المعز بهذا الاسم تسجل بملتقى أهل التفسير عام 2003، وملتقى أهل اللغة عام 2008، حيث سجل على بطاقته تخصص علم اللغة، وورد في تفسيره البياني لسورة العصر ما يدل على أنه من المغرب، هذا وقال عنه عز الدين كزابر في مدونته الإلكترونية: "هو أحد المشاركين النشطين بملتقى أهل التفسير، ويتضح بجلاء من مشاركاته الخبرة العميقة في المسائل الشرعية وأصول الدين، ويبدو أنه متخصص محترف، غير أني لم أقطع بشخصيته، وخاصة أنه لا يتجاوب في مشاركاته، ويبدو أنه يريد إبقاء شخصيته سرا، وله ما أراد".

"اعلم أن كلمة عصر (مطلقة من أي سياق) تحتمل أن تكون:

أولا: اسم ذات، ويتفرع على هذا الاحتمال تعيينان اثنان:

1- أن تكون الذات هي الزمن، وفي هذه الحالة أيضا تعيينان:

أ- أن يكون هذا الزمن خاصا (جزءا من النهار محصورا بين الزوال والغروب)[1].

ب- أن يكون الزمن عاما ومبهما -كما تقول: (عصر الجليد) أو (عصر النهضة) ...-[2].

2- أن تكون الذات هي الصلاة (على تسمية المظروف بظرفه كما هو سائغ في اللسان العربي)[3].

وكل هذه المعاني مشهورة عند المفسرين.

ثانيا: اسم معنى.

---

[1] ارجع إلى: القول الثاني، ص: 15.

[2] ارجع إلى: القول الثالث، ص: 16.

[3] ارجع إلى: القول الرابع، ص: 17.

ثالثا: صيغة المصدر أو الحدث كما تقول: (عصر الزيت) و(عصر العنب)، بيانه أن (العصر) –بمعناه المصدري الواسع– يتضمن دلالتين:

– **دلالة علاجية:** العصر كفعل علاجي هو ضغط على جسم صلب حاو لاستخلاص ما فيه من سائل أو غيره.

– **دلالة تقييمية:** إذ قد يرتبط هذا الفعل بمقصد تقييمي لنتائج العصر: فالعصارة جوهر نفيس للحفظ، وما عداها شوائب للطرح.

والسورة عند تأملها تدور حول هذا المعنى: الإنسان (يُعصر) ليتميز جوهره عن غثائه، والإنسانية (تُعصر) ليستبان مفلحها من خاسرها.

وهذا تقرير للتمثيل البياني: العصر يفترض –في مقوماته الدلالية العامة– أمرين:

1– فعلا حسيا هو ممارسة الضغط على شيء صلب فيكون القصد إلى استخراج السائل الكامن فيه.

2– فعلا معنويا أو حكميا يتعلق بالتقويم أو التقدير؛ فالعصارة (أشرف) وما عداها (أخس)، فيكون العصر آلية للتمييز تفضي إلى تقسيم الواحد إلى اثنين: ما هو جوهري في الشيء فيجب الاحتفاظ به والاحتفاء به، وما هو من الشوائب فيجب طرحه ونبذه.

فالملاءمة بين المقسم به والمقسم عليه بيانية كما ترى، هذا مذهب عائشة عبد الرحمن[1]، فإن إشارة الاستاذة إلى المعنى المصدري كانت مترتبة عن إسناد وظيفة بيانية –جمالية– للقسم يقتضيها قانون الاتساق والتشاكل، وترى الأستاذة أن جل المفسرين انساقوا وراء استكناه واستقراء معاني التعظيم وأهملوا في المقابل الكشف عن اسرار التلاؤم بين القسم وموضوعه[2].

وبصرف النظر عن صحة ثبوت هذه الأصالة أو عدمها، فإن الخصائص الأسلوبية العامة للقرآن أو ما يسميه المفسرون (عادة القرآن)، تعكر على هذا التوجيه؛ فليس من عادة القرآن القسم بالمصادر وإنما يطرد فيه القسم بأسماء الذوات، سواء أكانت هذه الذوات من عالم الشهادة أم من عالم الغيب، وسواء أكانت دلالاتها قطعية أم احتمالية.

ثم من عادة القرآن القسم بالزمن وأجزائه من الليل والنهار والفجر والضحى، فيكون القسم بالعصر متسقا مع هذه المعاني، فلا جرم أن يكون

---

[1] قالت عائشة بنت الشاطئ: "المعنى الأصلي للعصر لغة: الضغط لاستخلاص العصارة... ومن هذه الدلالة اللغوية الأصلية على الضغط والاعتصار، سُمي الدهر عصرا، بملحظ من استخلاصه عصارة الإنسان بالضغط والتجربة والمعاناة والابتلاء... وبهذا اللفت الموجه إلى ضغطة العصر ابتلاء، تأتي الآية بعده: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾"، (التفسير البياني للقرآن الكريم: 75/2، 80، بتصرف).

[2] ارجع إلى: ص: 12، الهامش رقم: 2.

العصر مرادا به الذات لا المصدر.

والمختار أن يكون القسم بجزء الزمن، مستأنسين في هذا الاختيار بأمرين:

أولا: موقع القَسَم على المحور العمودي، بوضع (العصر) ضمن جملة الأقسام الأخرى التي افتتحت بها بعض السور المكية.

إذ احتل (الزمن) مكانة متميزة بين الأقسام الاستهلالية، فرب العزة أقسم بكل مراحل الوحدة الزمنية: فقد أقسم بالفجر: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: 1]، وأقسم بالليل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: 1]، وأقسم بالضحى: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: 1]، وأقسم بالعصر: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: 1].

وجاءت هذه الأقسام لاستغراق الزمن كله بالتنبيه على تمفصلاته ومنعرجاته الأساسية: فالفجر بداية، والليل نهاية، والضحى نهاية البداية، والعَصْرُ بداية النهاية.

فالعَصْرُ: العَشِيُّ إلى احْمِرارِ الشَّمْسِ، يمثل بداية نزول الشمس نحو المغيب وتغير لون الأشعة نحو الاصفرار ثم الاحمرار.

والزمن المقسم به في هذه السور مرتبط بحياة الإنسان وسيرورته، بحيث يؤذن تحول الزمن وتغير موضع الشمس في السماء بتحول وتغير في نشاط

الإنسان وبرنامج عمله، ومن ثم كانت الصلاة موقوتة بحسب منعرجات الزمن مما يكشف عن تناغم بديع بين الإنسان والطبيعة.

وللمعنى نفسه جاء تعدد أجزاء النهار واختلافها: فجر/ ضحى/ عصر في موازاة مع تعدد أنشطة الإنسان واختلافها في النهار، بينما الليل لم يقع فيه تقسيم فجاء لفظا عاما واحدا (الليل) لقلة نشاط الإنسان فيه، فهو سبات ونوم في الغالب، لا يحتاج معه إلى تمييز.

ثانيا: وظيفة القَسَم على المحور الأفقي، بملاحظة علاقة (العصر) بما تضمنته السورة من معان وأحكام.

إن وقت العصر مناسب بيانيا لموضوع السورة لذلك اختاره العليم الحكيم قسما في مطلعها، فالسورة يغلب عليها طابع الإنذار.

فهو بداية النهاية، فالشمس التي كانت تتوسط السماء في كامل قوتها هي الآن تضعف وتتجه في مسارها إلى مغيبها في نهاية الأفق، فالعصر حاك عن الرحيل، ويبدأ الإنسان عندئذ في التفكير في الرواح"[1].

كلمة العصر في اللغة من المشترك اللفظي الذي يستخدم لعدة معان

[1] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف. وقارن بـ: ص: 6، الحاشية رقم: 1.

ولهذا اختلف السلف وأهل اللغة في تعيين المراد بكلمة العصر في الآية، واستعمال كلمة العصر بمعنى الدهر أو العشي معروفٌ في لغة العرب كما سبق بيانه، وقد جمع ابن المنير بين المعنيين وذكر احتمال الآية لكليهما قال:

"والعصر للدهر وللعشي *** كلاهما قد صح في المروي".

وتخصيص بعض الأحوال التي تتأتى على معنى أي منهما لا يعني انتفاء احتمال الآية للمعنى الأعم بل فيه زيادة تأكيد على فضل المخصوص وشرفه.

لكن القول بأنه الدهر يشمل الأوقات كلها، وهو قول عام يجمع جميع ما سبق من الأقوال، لعموم لفظ العصر لجميع الأوقات، هو الراجح، لذا رجحه الطبري وغيره من المفسرين كابن كثير.

وفي الجمع بين الأقوال مزيد فائدة –والله أعلم–، ففيه إشارة إلى أن الزمان وإن قصر في ساعة من نهار أو يوم وليلة، أو طال في معنى (الدهر) لا يصلح إلا بتعميره باتباع النبي ﷺ ومن ذلك صلاة العصر[1].

۞ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾

[1] مجلس مذاكرة تفسير سورة العصر منقول بتصرف عن موقع: (معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد)، رابط صفحة الموقع: http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=43699

هو جواب القسم.

و﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ معناه لغة: واحد الناس.

وقيل: "سمي إنسان؛ لأنه يأنس بجنسه؛ لأنه خلق خلقه لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه".

وقيل: "سمي بذلك؛ لأنه يأنس بكل ما يألفه".

وقال ابن قتيبة: "سمي الإنس إنسا؛ لظهورهم، وإدراك البصر إياهم. قال الله ﷻ: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: 10]؛ أي: أبصرت".

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد الله إليه فنسي". وذهب إلى هذا قوم من المفسرين من أهل اللغة[1].

والإنسان ها هنا فيه وجهان:

أحدهما: اللام في الإنسان (لام تعريف الجنس الشامل)، المراد به

[1] قارن بمادة (إنس) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، وبباب الإنسان في نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي.

الاستغراق؛ ليعم جميع اسم جنس الإنسان[1] المؤمن والكافر بقرينة الاستثناء، وبنحوه قال: الآلوسي، والمراغي، والشوكاني وهو أولى الأقوال عنده، وهو الراجح عند كل من الزحيلي [في تفسيره المنير]، والعثيمين وقال: "وعلامة الإنسان الذي يراد به العموم أن يحل محل (ال) كلمة (كل) فهنا لو قيل: (كل إنسان في خسر) لكان هذا هو المعنى"، وقال الكافِيَجي: "وهذا قول الجمهور" ثم قال: "ومشى على هذا كثير، وهو الأوجه؛ لصلاحية اللفظ لإرادة ذلك منه؛ وعدم نبو المعنى عنه؛ وإبقاء الاستثناء على أصله من الاتصال مع انتفاء المانع"[2].

يقول ابن المنير:

وكل إنسان ففي خسار *** غير ذوي الصلاح والأبرار

والثاني: اللام في الإنسان (لام عهد) لمعهود معين لدى المخاطب،

---

[1] وقيل في المراد بالإنسان هنا جميع الناس إلا النبيين ونسب لمكي بن أبي طالب، ولم أقف عليه. ولا حاجة لاستثناء النبيين لأنهم داخلون في المستثنى بتحقيقهم الوصف المذكور في قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وأما تخصيص الإنسان بالكافر، أو بكافر معين، وحمل الاستثناء مع ذلك على الانقطاع، فلا دليل صحيح عليه ومخالف لما عليه جمهور المفسرين وأهل اللغة. والكافر داخل في عموم الآية، ويتحقق فيه معنى الخسارة الكاملة، (مجلس مذاكرة تفسير سورة العصر منقول بتصرف)

[2] انظر: التفسير المنير: للزحيلي، وتفسير: المراغي، وتفسير: الكافيجي (ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 558، 559، بتصرف بسيط).

والمراد بالإنسان الكافر من دون تعيين شخص معين، وقيل: بالتنصيص على "شخص معين ويراد به جماعة من المشركين: الوليد بن المغيرة، والعاص ابن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، والأسود بن عبد يغوث"، وقيل: نزلت في أبي لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب[1]، وقيل في أبي جهل بن هشام[2]، (قلت): ولم يصح فيها سبب نزول.

و"الصواب ألا تعارض بين الوجهين، بل إن الوجه الأول أعم ويدخل فيه الوجه الثاني؛ فجنس الإنسان خاسر، ما لم يكن من المؤمنين، فبالتالي يخرج الكافرون من ذلك ويندرجون تحت قسم الخاسرين، ويندرج تحت قسم الكافرين ما ذكر من رؤوس المشركين كأبي لهب والعاص بن وائل وغيرهم"[3].

ومادة: "(خسر) معناها المحوري: نقص الشيء بذهاب أجزاء منه فقدًا؛ كنقص المَكِيلات [...] والموزونات [...]، وكنقص مال التاجر. [...] فالخسران في هذا وذاك. وسائر ما في القرآن من التركيب هو بمعنى فوت ما كان يمكن أن يفوز به من ثواب ونعيم لو آمن بالله واتبع شرعه"[4].

---

[1] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، والتفسير الكبير: للرازي.

[2] رواه مرفوعا أبي بن كعب، وسيأتي الحديث بتمامه في فرائد التفسير ونكته، ص: 54.

[3] مجلس مذاكرة تفسير سورة العصر، منقول بتصرف عن موقع: (معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد)، رابط صفحة الموقع: http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=43699

[4] انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، =

وقوله ﷻ: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ فيه ستة أوجه[1]:

الوجه الأول: لفي نقص، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181]، أي: الناقصين في الكيل والوزن، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 3]، أي: ينقصون.

والوجه الثاني: لفي هلاك.

وجمع بين الوجهين ابن كثير، فمن لازم حصول النقص حصول الهلاك، فالخسر: مصدر، والخسر والخسران في معنى واحد، فالخسران: النقص، ومعناه في التعارف هلاك رأس المال أو نقص جزء منه، وهو ضد الربح في التجارة، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12]، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة "كالمال والجاه" في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية "كالصحة والسلامة، والعقل والإيمان، والثواب"، وهو الذي جعله الله ﷻ الخسران المبين، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]، وقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

= ص: 556-557، بتصرف.

[1] قارن بتفسير: النكت والعيون: للماوردي، وبباب الخسران في: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي.

ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: 121][1]،

والوجه الثالث: لفي عقوبة، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: 9]، فالخسران هو نوع العقوبة الواقعة عليهم، قوله ﷻ: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، أي: في العقوبة.

والوجه الرابع: لفي شر.

والوجه الخامس: لفي غبن بسوء تصرفه في نعم الله عليه، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]؛ أي: غبنوا فصاروا إلى النار.

والوجه السادس: لفي ضلال، من تفسير المسبب بسببه، فسبب الخسران في الآخرة هو ما وقع فيه العبد من ضلال، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: 119].

وقال الكافِيَجي عن الوجوه الخمس الأولى: "وهي متقاربة وبعضها واحد، والمقام لا ينبو عن شيء منها".

---

[1] قارن بمادة (خسر) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني.

والمعنى في هذه الوجوه الثلاثة [الأولى] متقارب كما قال القرطبي أيضا.

واختيار لفظ الخسارة من أحسن ما يكون، فهو لفظ يسترعي انتباه السامع، فالإنسان مجبول على محبة الربح والهرب من الخسارة، لذلك خاطب الله تعالى الناس بما يلفت انتباههم، وبما جبلت عليه فطرهم.

وقد جاءت ألفاظ التجارة والخسران والربح والأجر في آيات متعددة في القرآن، لعظيم وقعها على النفس، فالإنسان مجبول على حب ما يلائمه والحرص على تحصيله، وكراهية ما يؤذيه والفرار منه واتخاذ وقاية منه.

والخسران استُعير هنا؛ لسوء العاقبة وسوء الحال، ولما استثنى منه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقي حكمه متحققا في غير المؤمنين، فيتقرر الحكم تاما في نفس السامع مبينا أن الناس فريقان: فريق يلحقه الخسران، وفريق لا يلحقه شيء منه.

ثم في الخسر تفسيران:

التفسير الأول: إذا حملنا الإنسان على الجنس الشامل المراد به الاستغراق ليعم جميع اسم جنس الإنسان، كان معنى الخسر (هلاك نفسه وعمره)، إلا المؤمن العامل فإنه ما هلك عمره وماله؛ لأنه اكتسب بهما سعادة أبدية.

التفسير الثاني: وإن حملنا لفظ الإنسان على الكافر، كان المراد (كونه في الضلالة والكفر) إلا من آمن من هؤلاء، فحينئذ يتخلص من ذلك الخسار إلى الربح. وذلك بين غاية البيان في الكافر؛ لأنه خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وأما المؤمن وإن كان في خسر دنياه في هرمه وما يقاسيه من شقاء هذه الدار، فذلك معفو عنه في جنب فلاحه في الآخرة وربحه الذي لا يفنى، ومن كان في مدة عمره في التواصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه، وقد جمع له الخير كله.

والإنسان إذا لم يستعمل نفسه وعمره فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران؛ لأنه عمل في إهلاك نفسه وعمره، وهما أكبر رأس ماله. هذا معنى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر [1].

فمن قال بأن المراد بالإنسان في الآية هو الكافر؛ قال بأن الخسارة هي العقوبة بذنوبه وهي دخول النار في الآخرة فيخسر أهله، ومنزله، وماله في الجنة، ومنهم من قال بأن الخسارة هي ما كانوا فيه من ضلال في الدنيا أكبهم الله بسببه في النار في الآخرة.

فيكون معنى الآية: كل كافر لفي ضلال حتى يموت فيه، فيدخل النار،

[1] قارن بتفسير: زاد المسير: لابن الجوزي.

فتكون خسارته في الآخرة.

ومن قال بأن المراد بالإنسان في الآية هو جنس الإنسان؛ قال بعموم الخسارة في الدنيا والآخرة.

ولا تعارض بين القولين، فالقول الأول داخل في عموم القول الثاني، والكافر أحق بالخسارة من غيره، لكن القول بعموم الخسارة يناسب سياق الآيات من سورة العصر، وعموم ألفاظها.

ولفظ ﴿خُسْرٍ﴾ يشمل جميع ما يتعرض له الإنسان من نقصان وهلكة سواء كان هذا في الدنيا أو في الآخرة.

أما لماذا لم يقل ﷻ: "لفي الخسر" بالتعريف، وقال: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ بالتنكير؟ ففيه تأويلان:

التأويل الأول: لأن التنكير (للتعظيم في مقام التهويل تارة والتحقير أخرى)، فإن حملنا على التهويل وهو التأويل الصحيح عند الرازي، كان المعنى (إن الإنسان الكافر لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله)، وتقريره أن الذنب يعظم بعظم من في حقه الذنب، أو لأنه وقع في مقابلة النعم العظيمة، وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه، فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم.

واعلم أن الله ﷻ قرن بهذه الآية قرائن تدل على مبالغته ﷻ في بيان كون الإنسان في خسر وتؤكد هذه الجملة:

القرينة الأولى: القسم في قوله ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾.

والقرينة الثانية: كلمة ﴿إِنَّ﴾، فإنها للتأكيد.

والقرينة الثالثة: حرف اللام في ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾، وها هنا احتمالان:

الاحتمال الأول: في قوله ﷻ: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ أي: في طريق الخسر.

والاحتمال الثاني: أن الإنسان لا ينفك عن خسر؛ لأن الخسر هو تضييع رأس المال، ورأس ماله هو عمره، وهو قلما ينفك عن تضييع عمره؛ وذلك لأن كل ساعة تمر بالإنسان فإن كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضا حاصل؛ لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر، مع أنه كان متمكنا من أن يعمل فيه عملا يبقى أثره دائما، وإن كانت مشغولة بالطاعات فإن ترك الأعلى منها والاقتصار بالأدنى نوع خسران، فثبت أن الإنسان لا ينفك البتة عن نوع خسران.

القرينة الرابعة: أتى بقوله: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ ليكون أبلغ من قوله: (لخاسر)؛ وذلك أن (في) للظرفية، فكأن الإنسان منغمس ومغمور في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب.

واعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران والخيبة، وتقريره أن سعادة الإنسان في حب الآخرة والإعراض عن الدنيا[1].

وأي خسران أعظم ممن خسر الدنيا والآخرة؟ فمن باع آخرته بدنياه فهو في غاية الخسران، بخلاف المؤمن، فإنه اشترى الآخرة بالدنيا؛ فربح وسعد.

والتأويل الثاني: أن يكون التنكير في قوله ﷻ: ﴿خُسْرٍ﴾ للتنويع؛ أي: نوع من الخسر غير ما يعرفه الإنسان، وجوزه الآلوسي وتبعه الطاهر ابن عاشور.

ويحتمل **تأويلا ثالثا** وهو أن يكون "للتكثير [...]؛ فإن بعض المستثنين بالنسبة إلى بعض في نوع من الخسران؛ بسبب تفريطهم في بعض أعمالهم، حيث لم يعملها أولئك البعض وعملها الآخرون"، قاله الكافِيَجي[2].

قال المراغي في تفسير هذه الآية: "أعمال الإنسان هي مصدر شقائه، لا الزمان ولا المكان، وهي التي توقعه في الهلاك".

وفي "تجريد الإنسان المحكوم عليه بالخسران من كل وصف: ﴿إِنَّ

---

[1] قارن: بالتفسير الكبير للرازي، وتفسير الطاهر بن عاشور، وتفسير العثيمين جزء عم.

[2] انظر: ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، ص: 560، بتصرف بسيط.

ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ إشعارا بأن علة الخسران هو الإنسانية نفسها، فلو قيل مثلا: (إن الانسان الكافر في خسر) لانتزع الذهن أن مناط الخسارة هي صفة الكفر، لكن الآية في تركيبها تشعر أن علة الخسارة كامنة في (الجوهر) الإنساني ذاته لا في (أعراضها) عكس النجاة المؤسسة على الأعراض.

الخسارة أصلية جوهرية، والنجاة فرعية عرضية، فتجرد ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ من كل قيد يشعر أن ماهية الإنسانية نفسها علة الخسران، وهناك العديد من الآيات التي تشير إلى تأصل عوامل الخسران في تركيبة الإنسان [...]، وهذه النصوص –القرآنية– متفقة على قدر الخسران للإنسان، والتعليل في الآيات من داخل الإنسان [...]، أو لنقل علة الخسارة في الآيات من الماهية.

والقوة البيانية للآية مبنية على إسقاطين:

الأول: إسقاط التجارة على العبادة.

والمراد بالإسقاط بيان أمر متوسلين بأمر آخر، فتفهم العبادة مثلا من خلال التجارة على اعتبار أن مجال التجارة أكثر ألفة عند الملتقي وأوضح في ذهنه فتسقط عناصر هذا المجال على المجال الآخر، فالنجاة في الآخرة – مثلا– وهو أمر غيبي مستقبلي، يسقط عليها الربح في التجارة وهو أمر مشاهد آني، ومتكرر في التجربة الإنسانية، فيعبر عن الغيبي بالتجريبي وعن المعنوي بالحسي وعن النادر بالمألوف فينشأ عن ذلك مقصد البيان.

والأصل في الخسارة متجذر في المجال التجاري.

وإسقاط (استعارة) التجارة على الدين مألوف في القرآن[1].

والثاني: إسقاط الفضاء على المجرد.

فالتعبير بالظرفية في الآية: ﴿فِي خُسْرٍ﴾ إسقاط للمكان على المعنى، فيتصور المتلقي الخسارة لا كحالة أو صفة بل كفضاء يتحرك فيه.

فالخسارة ليست في الإنسان بل إن الإنسان هو الذي في الخسارة.

وفائدة الإسقاط بيان الإحاطة وعدم الانفكاك.

والتعبير بـ: ﴿فِي﴾ يكسب الفضاء دلالة إيحائية انقباضية فهي دالة على الانغلاق والانحباس والاختناق، عكس (على) ذات الدلالة الانبساطية"[2].

---

[1] انظر قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9].

[2] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف.

- **أربع صفات للفئة الرابحة**

❁ قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

استثناء من الإنسان [الخاسر] وهو استثناء متصل، إذ هو بمعنى (الناس) على الصحيح[1]، وقال الشوكاني: "ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة، ولا وجه لما قيل من أن المراد الصحابة أو بعضهم[2]، فإن اللفظ عام لا يخرج عنه أحد ممن يتصف بالإيمان والعمل الصالح".

وقال أيضا: "ومن قال[3]: إن المراد بالإنسان الكافر فقط فيكون [الاستثناء] منقطعا" بمعنى لكن.

فالربح و"النجاة الممكنة التي بشر بها الاستثناء مقيدة الآن بكثير من الشروط:

- ﴿آمَنُوا﴾.
- ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ﴿تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.

---

(1) انظر: تفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، بتصرف، وتفسير فتح القدير: للشوكاني.

(2) القائل: هو أبي بن كعب، وسيأتي الحديث بتمامه في: فرائد التفسير ونكته، ص: 54.

(3) نفسه.

- ﴿تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

النجاة ممكنة ولكنها عزيزة"[1].

والإيمان في اللغة: (التصديق)، ويستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمّد ﷺ [...]، ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مقرًّا بالله وبنبوته [...]. وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: القول باللسان، والإخلاص بالقلب، والعمل بالجوارح[2]، والمراد به هنا: صدقوا الله ورسوله.

۞ قوله ﷻ: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

﴿وَ﴾ "العطف [بالواو] يقتضي المغايرة، لكن يكفي في المغايرة الاعتبار، فيصح عطف العام على الخاص، وعطف الخاص على العام.

نعم، إن الخاص متضمن في العام وعطف أحدهما على الآخر يؤول إلى عطف الشيء على نفسه، وهو ممنوع قطعا، لكن اختلاف الاعتبار يصحح العطف، فاعتبار الشيء بخصوصه يختلف عن اعتباره ضمن عمومه، وفائدة

---

[1] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف.

[2] انظر: مادة (أمن) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، بتصرف، وقارن بباب الإيمان في: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي.

العطف هنا الإشادة بفضل الخاص مثلا أو التنبيه عليه وتأكيده، وغير ذلك من الأغراض التي تحوم على الكيف لا الكم.

وهكذا يصح عطف النوع على الجنس، وعطف الفرد على النوع، وعطف الفرد على الجنس، وهلم جرا...

وقد جاء النسق في الآية الشريفة على هذه القاعدة، فنلحظ ترتيب العناصر الأربعة تدريجيا على سلم العموم والخصوص، بحيث يكون المذكور المتأخر متضمنا في المذكور قبله: فالعمل الصالح نوع متضمن في جنس الإيمان، والتواصي بالحق فرد من أفراد العمل الصالح، والتواصي بالصبر صورة من صور التواصي بالحق"[1].

يقول عفيف طباره: "العمل الصالح هو ثمرة الإيمان بالله، لهذا قرن الله في القرآن الإيمان بالعمل الصالح مثل قوله: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أكثر من خمسين مرة مع الوعد والبشرى بمن يتحلى بهما بالسعادة في الدنيا والآخرة".

ومعنى ﴿عَمِلُواْ﴾ العمل: "كل فعل يكون من الحيوان بقصد"، فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير

[1] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف.

قصد، والصلاح: ضد الفساد، وهو مختص في أكثر الاستعمال بالأفعال[1].

وفي العمل هنا وجهان:

أحدهما: وعملوا بالطاعة.

والثاني: أي: أدوا الفرائض المفترضة عليهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ. وهو قول من يرى في ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ إشارة إلى صبر المؤمنين على أذى الكفار لهم بمكة.

فالوجه الأول معناه (عام) والثاني (خاص).

و﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ "جمع صالحة، والصلاح في اللغة ضد الفساد، وتستعمل الصالحات في المجال الديني نقيضا للسيئات، وهي الأعمال الطيبات التي تردد ذكرها في القرآن الكريم داعيا إليها حاثا عليها، وذلك فيما يتصل بعبادة الله، وطهارة النفس والإحسان إلى الجماعة"[2].

والتعريف في قوله: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تعريف الجنس الشامل المراد به الاستغراق ليعم جميع اسم جنس الصالحات؛ أي: عملوا جميع الأعمال الصالحة

---

[1] انظر: مادتي (عمل وصلح) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، بالتصرف.

[2] انظر: تفسير سورة العصر: لعفيف طباره: (روح القرآن الكريم، جزء: عم).

التي أمروا بعملها بأمر الدين، وعمل الصالحات يقتضي ترك السيئات.

وقد دل استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أن يكونوا في خسر على أن سبب كون بقية الإنسان في خسر هو عدم الإيمان والعمل الصالح.

يقول الطاهر بن عاشور: "ومن أكبر الأعمال الصالحات التوبة من الذنوب لمقترفيها، فمن تحقق فيه وصف الإيمان ولم يعمل السيئات أو عملها وتاب منها فقد تحقق له ضد الخسران وهو الربح المجازي، أي حسن عاقبة أمره، وأما من لم يعمل الصالحات ولم يتب من سيئاته فقد تحقق فيه حكم المستثنى منه وهو الخسران".

۞ قوله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾

معنى الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، وتواصى القوم: إذا أوصى بعضهم إلى بعض. ومعنى ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ أي: تحابوا، وأوصى بعضهم بعضا، وحث بعضهم بعضا[1]. وأخرج الطبراني في الأوسط بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن الحصين الأنصاري (من التابعين)، والبيهقي في الشعب، عن ابن مزينة الدارمي، وكانت له صحبة قال: "كان الرجلان من أصحاب النبي

[1] انظر: تفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وقارن بمادة (وصى) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني.

ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر. ثم يسلم أحدهما على الآخر"؛ أي: سلام التفرق [تحية مودع]، وهو سنة أيضا مثل سلام القدوم[1].

و"لعل السر في قراءة الصحابة لهذه السورة أنهم كانوا يتأولونها؛ فالسورة تدعو إلى التواصي بالحق، وهي نفسها حق، فاتحد الدال والمدلول، واختيار لحظة الفراق لقراءتها تأول آخر لمعنى (التواصي) لأن خطاب الوصية يتلبس دائما بالفراق (مادي أو معنوي، بالموت أو غيره)، فناسبت قراءة السورة المعنى والظرف معا. وهذا يدلك على منهج الصحابة في تدبر القرآن: الفهم العميق والمبادرة إلى التطبيق.

ولنلحظ بصفة خاصة ذلك الغور المعجز لصيغة ﴿تَوَاصَوْاْ﴾:

فهي لوحدها تؤسس مذهبا في الحياة ونظاما فيها، فصيغة (تفاعل) دالة على المشاركة، لا يصح مجيء الفعل إلا من اثنين فأكثر، ومعنى هذا أن نجاة الإنسان لا يمكن أن تتحقق خارج المجتمع أو بعيدا عنه.

قد يحقق الإيمان، وبعض العمل الصالح، لكن شطر التواصي محكوم بالانخراط في جماعة.

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير، وتفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، والتفسير المنير: للزحيلي، وموسوعة التفسير بالمأثور.

ولنلحظ ثانية أن صيغة ﴿تَوَاصَوْاْ﴾ تلغي كل تراتبية في هذا الشأن: فليس ثمة طبقة (فاعلة) للوصية وطبقة (منفعلة بها) بل إن كل فرد فاعل ومنفعل في وقت واحد"[1].

"وفي هذا تقرير للمسؤولية الاجتماعية على الإنسان، وبيان أن كماله في نفسه لا يكفي حتى يسعى إلى كمال غيره.

والتواصي بالحق ضرورة اجتماعية، ... من هنا لم يأمر الإسلام متبعيه إلى الأخذ بالحق فقط، بل أمرهم بالتواصي به، والتواصي يشمل الأخذ بالحق وحث الغير عليه، وبهذا يعيشون للحق، ويصبح الحق هو المسيطر على كل منازعاتهم وبهذا يقضي على كل خلاف في الجماعة"[2].

ومعنى الحق: الصواب والصحيح، وضده: الباطل. وأصل الحق: المطابقة والموافقة، والحقّ يقال على أوجه: **الأول:** يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحقّ ... **والثاني:** يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كلّه حق... **والثالث:** في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنّة والنّار حقّ ... **والرابع:** للفعل والقول بحسب

---

[1] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف.

[2] انظر: تفسير سورة العصر، لعفيف طباره: (روح القرآن الكريم، جزء: عم).

ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حقّ وقولك حقّ[1].

وفي الحق هنا ستة تأويلات[2]:

التأويل الأول: أنه توحيد الله.

التأويل الثاني: أنه القرآن كتاب الله، لقوله ﷻ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: 66].

التأويل الثالث: أنه اتباع رسول الله ﷺ.

التأويل الرابع: أنه الله، لقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: 6].

التأويل الخامس: أن يوصي مخلفيه عند حضور المنية ألا يموتن إلا وهم مسلمون.

التأويل السادس: أنه طلب العلم[3].

---

[1] انظر: مادة (حق) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، بتصرف بسيط، وباب الحق في: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي.

[2] انظر: تفسير النكت والعيون: للماوردي، وتفسير جامع البيان: للطبري.

[3] انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور: لعبد القاهر الجرجاني.

وهو اختلاف تنوع لا تضاد؛ إذ يمكن الجمع بين هذه الأقوال، ويؤيده قول الشوكاني: "والحمل على العموم أولى". وهو الصواب لأن مفردة الحق تشمل هذا كله. فلا تعارض بين الأقوال، بل جميعها تتفق في أن التواصي يكون بجميع ما أمر الله ﷻ به، وبجميع ما أمر به النبي ﷺ: بالمرسِل والرسالة والرسول. والوصية بالحق تشمل الشريعة كلها، فتشمل كل ما جاءت الوصية به في القرآن والسنة.

۞ قوله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾

"ولما كان وقع الحق ثقيلا على الأنفس، وأن التواصي به تلازمه المحن والصعاب وذلك يقتضي بدوره صبرا، لذلك قرن الله التواصي بالصبر مع التواصي بالحق"[1].

"ومثله قول ابن مسعود: يأتي عَلَى النَّاس زمان يكون المُؤْمِن فِيه أذل من الأمة؛ وإنما ذل المُؤْمِن آخر الزمان لغربته بين أَهْل الفساد من أَهْل الشبهات والشهوات فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لما هم عَلَيْهِ؛ من الشر والفساد والخبث وسائر الصفات القبيحة التي

[1] انظر: تفسير سورة العصر، لعفيف طباره: (روح القرآن الكريم، جزء: عم).

أهونها توريد الكفار والملاهي والمنكرات لبلاد المُسْلِمِيْنَ"[1].

و"الصبر عند العرب ليس من التذلل في شيء، كما يصبر المضطهد العاجز، بل هو أصل القوة والعزم. وكثر في كلام العرب استعماله بهذا المعنى"[2].

ومعنى الصبر: الإمساك في ضيق، وحبس النفس عما تنازع إليه وعلى ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام[3]، وفيه هنا ثلاثة وجوه[4]:

الوجه الأول: الصبر على طاعة الله ﷻ، والقيام بشريعته.

الوجه الثاني: الصبر على ما افترض الله وحكمه.

ويحتمل **وجها ثالثا:** الصبر عن معاصيه، وعن المحارم واتباع

---

[1] انظر: مورد الظمآن لدروس الزمان: لعبد العزيز السلمان: 430/4، وقارن بكشف الكربة في وصف أهل الغربة: لابن رجب الحنبلي: 321، وغربة الإسلام: لحمود التويجري: 16/1، وموسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام: لأحمد أيوب وآخرون: 343/7.

[2] انظر: مفردات القرآن: للفراهي، ص: 288.

[3] انظر: مادة (صبر) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني.

[4] قسم أهل العلم (الصبر) هنا إلى ثلاثة أقسام: الأول: الصبر على فعل الطاعات، والثاني: الصبر ترك المعاصي، والثالث: الصبر على بلاء الأقدار.

الشهوات.

(قلت): والمعاني متقاربة.

قال الرازي في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: "فاعلم أنه تعالى لما بين في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر وصاروا أرباب السعادة، من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين وعلى هذا الوجه قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: 6].

وقال المراغي في تفسيره نقلا بتصرف عن تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): "وخلاصة أمرهم أنهم باعوا الفاني الخسيس، واشتروا الباقي النفيس، واستبدلوا الغاديات الرائحات بالباقيات الصالحات، فيالها من صفقة ما أربحها، ومنقبة جامعة للخير ما أوضحها".

ومن **المسائل المستفادة** من هذه السورة الكريمة ما يلي[1]:

[1] بعض المفسرين –ومنهم الرازي– أثاروا في تفسير سورة العصر عددا من المسائل الجدلية=

المسألة الأولى: "أقسم ﷻ بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة، على أن كل واحد في خسر، إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته. فهذا كماله في نفسه، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به، وبملاك ذلك، وهو الصبر. فكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك، ووصيته له بالصبر عليه"[1].

المسألة الثانية: "تتحقق الشمولية في سورة العصر باعتبار تصنيف الناس؛ فهنا فريقان: الخاسرون والناجون.

مع الإشارة إلى النسبة الكمية بين الفريقين، فالخاسرون أكثر عددا من الناجين بدلالة الاستثناء، فقد تقرر في اللغة أنه يستثنى الأقل من الأكثر ولا يجوز العكس.

وهذه الإشارة متفقة مع النصوص الصريحة –في القرآن والسنة– التي تثبت هلاك غالب الناس"[2].

= للمتكلمين، ليس هنا محل إيرادها، كالذي ثار بين المعتزلة والأشعرية من خلاف حول تسمية الأعمال بالصالحات: هل لكونها في نفسها مشتملة على وجوه الصلاح؟ أو لأن الله ﷻ أمر بها؟

[1] إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية، ص: 45.

[2] انظر: تفسير بياني لسورة العصر: أبو عبد المعز، بتصرف بسيط.

المسألة الثالثة: هذه السورة "فيها وعيد شديد؛ وذلك لأنه ﷻ حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتيا بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى الله، والثاني الثبات عليه، والأول الأمر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر "[1].

المسألة الرابعة: "في تقديم الإيمان على العمل الصالح إشارة إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان. فالإيمان هو الذي يدفع صاحبه إلى الخير ويزعه عن الشر. وفي ربط الإيمان بالعمل الصالح إشارة إلى وجوب تلازمهما واعتبار العمل الصالح عنوانا أو مظهرا للإيمان. وهذا التلازم بين ذكر الإيمان والعمل الصالح يلحظ في [قوله ﷻ: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾] مما يمكن أن يدل على قصد الإشارة إلى شدة الارتباط واللحمة والتوافق بينهما وتوكيدها...

والحكمة في هذا ظاهرة قوية، فالإيمان يمنح صاحبه طمأنينة واستقرار نفس يجعلانه يصدر في أعماله وأهدافه عن يقين وقصد وتثبت واندفاع وصبر،

---

[1] انظر: التفسير الكبير: للرازي، بتصرف بسيط.

ويتحمل في سبيل ذلك ما قد يلاقيه من مصاعب وما تمس الحاجة إليه من تضحيات.

والإيمان بالله يجعل صاحبه يقبل على الخير والعمل الصالح وينقبض عن الشر والإثم والسيئات ابتغاء لوجه الله واتقاء لغضبه واكتسابا لرضائه ورضوانه، دون أن يكون هناك حافز من منفعة عاجلة أو دون أن يكون ذلك مما لا بد منه على الأقل.

أما العمل الذي لا يصدر عن إيمان فإنه يكون معرضا في الأغلب للانقطاع والتردد والتأثر بالمؤثرات والاعتبارات الشخصية والنفعية والظرفية. وكثيرا ما ينصرف المرء عنه حينما يلقى المصاعب والمشاكل، أو حينما يتطلب منه التضحيات أو حينما لا يكون من ورائه جلب خير أو دفع شر عاجل. والعمل الصالح من الجهة الأخرى لا يكون فيه حيوية ويقين وتثبت واستمرار إذا لم يكن منبثقا من إيمان يجعله لازما حيّا قويا بذاته وبصرف النظر عن أي اعتبار، ويجعل صاحبه لا ينصرف عنه مهما لاقى في سبيله من مصاعب واقتضى منه من تضحية وعناء واستنفد من قوة وجهد"[1].

المسألة الخامسة: اشتمل قوله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة

[1] انظر: التفسير الحديث: لمحمد عزة دروزة، بتصرف.

في الحق، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر[1].

المسألة السادسة: "دلت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المحن تلازمه؛ فلذلك قرن به التواصي"[2]. وكذلك الأعمال الصالحة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه. وفي الحديث: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك.

المسألة السابعة: "التخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها"[3].

المسألة الثامنة: تقسم السورة الناس إلى فئة خاسرة وفئة رابحة، وجاء وصف الفئة الرابحة في الآية الثالثة من السورة بصفات أربعة وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. ومن هذه الصفات الأربع تؤخذ صفات الفئة الخاسرة التي أقسم الله ﷻ عليها، أخذا من مفهوم المستثنى، وتتصف أيضا بأربع صفات هي: الكفر والشرك، والعمل الفاسد، والتواصي

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

[2] انظر: التفسير الكبير للرازي بتصرف بسيط.

[3] انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

بالباطل، والجزع والسخط. وقد دلت السورة على خسران وهلاك كل فئة من هذه الفئات الأربع[1].

وإنما ذكر سبب الربح دون الخسران، اكتفاء ببيان أن ما عداه يؤدي إلى الخسران والله أعلم بمراده.

فرائد التفسير ونكته

قال الماتريدي في تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إن الدنيا وما فيها كأنها خلقت وأنشئت متجرا للخلق، والناس فيها تجار؛ كما ذكره في غير آي من القرآن، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111]، وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، أي: إن الإنسان لفي خسار من تجارته ومبايعته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الآية[2].

وقال إبراهيم [النخعي من طريق ابن عون] في تفسير هذه السورة: "إن الإنسان إذا عَمَّرَ في الدنيا لفي نقص وضعف، إلا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم

---

[1] انظر: واحة التفسير: لأحمد الطويل: (471/15)، بتصرف.

[2] انظر: تفسير تأويلات أهل السنة: للماتريدي.

أجور أعمالهم التي كانوا يعملون [بها] في شبابهم وصحتهم"[1].

وروى القرطبي عن أبي بن كعب قال: "قرأت على رسول الله ﷺ والعصر ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار؛ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾: أبو جهل [بن هشام]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أبو بكر [الصديق]، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: عمر [بن الخطاب]، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: عثمان [بن عفان]، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾: علي [بن أبي طالب]" رضي الله عنهم[2]. وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه. وإن صح هذا الحديث؛ فإن العبرة بعموم اللفظ، والسياق على ظاهره لا يخص الإنسان بفلان أو بآخر.

وقرأ علي بن أبي طالب [من طريق عمرو ذي مر]: «والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر إلا الذين...»، وهي قراءة شاذة، تُروَى أيضا عن ابن مسعود، وميمون بن مهران، وإبراهيم النخعي بنحوها. وفي مصحف عبد الله: «والعصر لقد خلقنا الإنسان في خسر». والصحيح ما عليه الأمة والمصاحف. ورد ما خالف مصحف عثمان، وأن ذلك ليس بقرآن يتلى. فهذا مفسد للصلاة، فلا نقول: إنه قرأه قرآنا بل تفسيرا، وبه قال القرطبي،

---

[1] انظر: تفسير زاد المسير: لابن الجوزي، وموسوعة التفسير بالمأثور.

[2] ذكره القرطبي وابن عطية بلا سند ولم يذكرا تخريجه، وانظر: موسوعة التفسير بالمأثور، وقارن بتفسير التسهيل: لابن جزي.

والرازي، والثعلبي في تفسيره: (الكشف والبيان)[1].

[1] انظر: تفسير جامع البيان: للطبري، وموسوعة التفسير بالمأثور.

﴿ تفسير آية الفساد في سورة الروم ﴾

قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41].

ووجه اتصال هذه الآية المكية بالسورة السابقة هو أن خسر العباد في سورة العصر بسبب الفساد النظري العلمي الإيماني بظلم الإنسان لنفسه بشركه بالله، وفساد البلاد في هذه الآية بسبب المفسدين للنظام الكوني العملي بظلم من ولاة الأمور.

المناسبة:

وجه تعلق هذه الآية بما قبلها –من سورة الروم– هو أن الله ﷻ بعد أن ذكر أن المشركين عبدوا مع الله سواه، وأشركوا به غيره، والشرك سبب الفساد، كما يرشد إلى ذلك قوله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] أعقب ذلك ببيان أن الناس قد انتهكوا حرمات الله، واجترحوا المعاصي، وفشا بينهم الظلم والطمع، وأكل القوي مال الضعيف، فصب عليهم ربهم سوط عذابه، فكثرت الحروب[1].

[1] انظر: تفسير المراغي، وقارن بتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وتفسير جامع البيان: للطبري، والتفسير الكبير: للرازي، والتفسير المنير: للزحيلي، وتفسير روح المعاني: للآلوسي.

ويروي الطبري في تفسيره بسنده عن قتادة قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ قال: "هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا ﷺ، امتلأت ضلالة وظلما، فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس".

فالآية تشير إلى مصائب نزلت ببلاد المشركين وعطلت منافعها، ولعلها مما نشأ عن الحرب بين الروم وفارس، وكان العرب منقسمين بين أنصار هؤلاء وأنصار أولئك، فكان من جراء ذلك أن انقطعت سبل الأسفار في البر والبحر فتعطلت التجارة وقلت الأقوات بمكة والحجاز كما يقتضيه سوق هذه الموعظة في هذه السورة المفتتحة بـ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: 2][1].

وقيل: كان أوائل البعثة وذلك أن كفار قريش فعلوا ما فعلوا من المعاصي والإصرار على الشرك وإيذاء الرسول ﷺ فدعا ﷺ عليهم؛ فأقحطوا وحل بهم من البلاء ما حل فأخبر الله ﷻ أن ذلك بسبب معاصيهم؛ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، وفسر هذا القائل: الناس بكفار قريش.

وقيل: كان في زمان سابق على زمان النزول، أعم من أن يكون الزمان الذي قبيل البعثة أو بعيدها أو غير ذلك، وحكم الآية عام في كل فساد يظهر إلى يوم القيامة[2].

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور.

[2] انظر: تفسير روح المعاني: للآلوسي.

وقال الشعراوي في تفسيره: "فكلما ظهر الفساد حلت العقوبة، فخذوها في الكون آية من آيات الله إلى قيام الساعة. فظهر الفساد قديما... ثم سيظهر الفساد حديثا وسيحدث العقاب. إذن: ليست الأمة الإسلامية بدعا في هذه المسألة".

وإن موقع هذه الآية ومعناها صالح لعدة وجوه من الموعظة، وهي من جوامع كلم القرآن. والمقصد منها هو "الموعظة بالحوادث ماضيها وحاضرها" للإقلاع عن الإشراك وعن تكذيب الرسول ﷺ[1].

- **الحياة تصلح بالطاعة وتفسد بالمعصية**

۞ قوله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾

مادة (ظهر) لغة: ظهر كل شيء؛ خلاف بطنه، كظهر الأرض وبطنها، ومما يجمع الظهر من البروز والقوة كان أصل معاني المادة كلها، ومن بروز الظهر في الأشياء قيل: ظهر -كنصر- أي: خرج على الظهر فبدا وتبين، والظهر: بدو الشيء الخفي، وأظهرته: بينته، وظهر السطح -متعديا-: علاه، وكذلك ظهر عليه: صار فوقه، وظهر عليه: قوى وتمكن. والمعنى المحوري: بروز من أثناء أو باطن إلى سطح مع شدة وغلظ أو قوة، ومن البروز بقوة من

[1] انظر: التفسير الكبير: للرازي، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وتفسير التحرير والتنوير: لابن عاشور.

أثناء شيء عبر بالتركيب عن نحو الانكشاف ظهر ظهورا: برز بعد الخفاء، وأظهر الشيء: بينه وأبرزه، وظَهَرَ الشّيءُ أصله: أن يحصل شيء على ظَهْرِ الأرضِ فلا يخفى، وبَطَنَ إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى، ثمّ صار مستعملا في كلّ بارز مبصر بالبصر والبصيرة، وقوله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، أي: كثر وشاع [1].

وقال الشعراوي في تفسيره: "ظهر: بان ووضح. **والظهور: أن يبين شيء موجود بالفعل لكنا لا نراه**، وما دام الحق ﷻ قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ فلا بد أن الفساد كان موجودا، لكن أصحاب الفساد عموه وجنوه إلى أن فقس وفرخ في المجتمع. والفساد لا يظهر إنما يظهر أثره".

وهو خلافا لما ذهب إليه الطاهر بن عاشور بقوله: "**وأطلق الظهور على حدوث حادث لم يكن**، فشبه ذلك الحدوث بعد العدم بظهور الشيء الذي كان مختفيا.

ومحمل صيغة فعل ﴿ظَهَرَ﴾ على حقيقتها من المضي يقتضي أن الفساد حصل وأنه ليس بمستقبل، فيكون إشارة إلى فساد مشاهد أو محقق الوقوع

---

[1] قارن بمادة (ظهر) في: مفردات غريب ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، ص: 1381-1382، ومخطوطة الجمل: لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل: 3/81-82.

بالأخبار المتواترة. وقد تحمل صيغة الماضي على معنى توقع حصول الفساد والإنذار به فكأنه قد وقع".

وقال أيضا: "ويعلم أن مراتب ظهور الفساد حاصلة على مقادير ما كسبت أيدي الناس"[1]. وهو ما قصده عمر بن عبد العزيز بقوله: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور".

والظاهر من الآية: ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه، سواء كان راجعًا إلى أفعال بني آدم من معاصيهم، واقترافهم السيئات، وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم، أو راجعًا إلى ما هو من جهة الله سبحانه، بسبب ذنوبهم؛ أي ظهر أثر الفساد كالقحط وكثرة الخوف وهو عقوبة أهل الفساد.

ومادة (الفَسَادُ) لغة: الجدب في البر، والقحط في البحر. فسد الشيء: بطل واضمحل، والمعنى المحوري: ذهاب نفع الشيء المقصود منه (أي تلفه وهلاكه) لحدة ضارة تسري في أثنائه: كالجدب في الأرض، فالفساد: خروج الشيء عن حال الاعتدال والاستقامة وكونه منتفعا به، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، ويضادّه الصّلاح[2].

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور.

[2] قارن بمادة (فسد) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، والمعجم الاشتقاقي=

واصطلاحا عرفه محمد رواس قلعه جي في معجم لغة الفقهاء (41/1) بأنه: "إخراج الشيء عن أن يكون منتفعا به منفعة مطلوبة منه عادة". وهذا التعريف ينسجم مع مفهوم الفساد في القرآن، خاصة وأنه يشمل كل ما من شأنه تخريب وإفساد، وأيضا يتفق مع أصل الفساد لغة[1].

واختلف المفسرون في معنى الفساد والبر والبحر ها هنا[2]:

= المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، ص: 1672.

[1] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: لمجموعة من الباحثين، حرف: الفاء، مادة: الفساد، (294/26). وجاء تعريف الفساد فلسفيا في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية بأنه: "التَّغَيُّرُ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الأَشْيَاءِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى فَنَائِهَا"، رابط الموقع الإلكتروني: https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF

[2] "بعض المفسرين يسوقون في صدد هذه الآية أقوالا واحتمالات لا تخلو من غرابة وتجعلها منفصلة عن سابقتها ولاحقتها بسبب التعبير بالفساد في البحر والبرّ. ومن ذلك قتل قابيل أخاه هابيل، واغتصاب الملك السفن في البحر وهو ما حكته إحدى آيات سورة الكهف، وملوحة مياه البحار بعد أن كانت عذبة، وخلو أصداف اللؤلؤ من اللؤلؤ وعدوان الأسد على البقر والغنم بعد قتل هابيل ولم يكن يفعل ذلك إلخ. غير أن إمعان النظر في الآيات الثلاث يظهر انسجامها مع بعضها انسجاما تاما. ومن المحتمل أن يكون وقع في ظروف نزول أزمات في الأمن وفي الغذاء والأمطار في الحجاز أو في تخومها فكان ذلك مناسبة لتنبيه الناس إلى أنه من تسليط الله عليهم بسبب آثامهم ولحملهم على الارعواء والرجوع إلى الله والحق. وتعبير ظهر الفساد في البر والبحر يرجح أن يكون تعبيرا أسلوبيا يقصد به شيوع =

والفساد الذي أشار القرآن إلى ظهوره يحتمل أن يكون راجعا إلى المعاصي التي اقترفها الناس، ويحتمل أن يكون الفساد راجعا إلى عقاب الله للعباد بسبب ذنوبهم. وذكروا في ﴿ٱلۡفَسَادُ﴾ سبعة أقوال[1]:

القول الأول: يجوز أن يكون المراد بالفساد: الشرك [وهو أعظم الفساد]، قاله قتادة والسدي فتكون هذه الآية متصلة بقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الروم: 40]، فتكون الجملة إتماما للاستدلال على وحدانية الله ﷻ تنبيها على أن الله خلق العالم سالما من الإشراك وأن الإشراك ظهر بما كسبت أيدي الناس من صنيعهم ... فذكر البر والبحر؛ لتعميم الجهات بمعنى: ظهر الفساد في جميع الأقطار الواقعة في البر والواقعة في الجزائر والشطوط[2].

واعلم أن كل فساد يكون فهو بسبب الشرك، لكن الشرك قد يكون في العمل دون القول والاعتقاد فيسمى فسقا وعصيانا؛ وذلك لأن المعصية فعل لا يكون لله بل يكون للنفس، فالفاسق مشرك بالله بفعله، غاية ما في الباب أن الشرك بالفعل لا يوجب الخلود؛ لأن أصل المرء قلبه ولسانه، فإذا لم يوجد منهما

= الفساد وشموله" (التفسير الحديث: لمحمد عزة دروزة).

[1] انظر: زاد المسير: لابن الجوزي، وتفسير النكت والعيون: للماوردي، وتفسير الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية.

[2] انظر: تفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور.

إلا التوحيد يزول الشرك البدني بسببهما[1].

وذكر ابن كثير في تفسيره عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه فسر الفساد بالشرك، ثم علق بقوله: "وفيه نظر"؛ إذ لا دليل على أنه المراد بخصوصه، وبنحوه قال الشوكاني.

القول الثاني: الفساد: "ارتكاب المعاصي، والذنوب، والظلم، وقطع السبيل" في البر فتسده، أي: صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات، وبنحوه قال أبو العالية، وابن عباس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والنحاس وقال: "فهذا هو الفساد على الحقيقة"[2]. وعلى تفسير الفساد بالمعاصي فالمعنى ظهرت المعاصي والذنوب في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس إياها وفعلهم لما نهاهم الله عنه، وبنحوه قال الطبري والآلوسي وعبد القاهر الجرجاني في تفسيره.

ورجح ابن القيم مستندا إلى السياق أن المراد بالفساد: هو الذنوب وموجباتها، فقال: "والظاهر –والله أعلم– أن الفساد المراد به: الذنوب وموجباتها، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، ولو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من

---

[1] انظر: التفسير الكبير: للرازي.

[2] انظر: تفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير البحر المحيط: لابن حيان.

دابة"[1].

وذكر تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للفساد بالذنوب، ثم علق عليه بقوله: "قلت: أراد أن الذنوب سبب الفساد الذي ظهر. وإن أراد: أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها؛ فيكون اللام في قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ لام العاقبة والتعليل"[2].

القول الثالث: الفساد: "الجذب وقحط المطر وقلة النبات والعشب وذهاب البركة"، قاله يحيى بن سلام وعطية، وبنحوه قال ابن عباس قال: "هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا". وقال النحاس: "وهو أحسن ما قيل في الآية"[3]. وقال: "أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم". وقال أيضا: "وظهور الفساد فيهما بارتفاع البركات، ونزول رزايا، وحدوث فتن، وتقلب عدو كافر، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر"، وبنحوه عند عبد القاهر الجرجاني في تفسيره، وقال إنه الظاهر من فساد البر والبحر[4]، وعلى هذا والذي يليه الفساد بمعنى العقوبة لا الذنب والمعصية.

---

[1] انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الداء والدواء الشافي: لابن قيم الجوزية، ص: 74.

[2] نفسه.

[3] انظر: تفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي.

[4] انظر: تفسير البحر المحيط: لابن حيان، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وتفسير جامع البيان: للطبري.

القول الرابع: الفساد: "كساد الأسعار وقلة المعاش". أي: ظهر قلة الغيث[1] وغلاء السعر.

[1] يذكر هنا بعض المفسرين أن من الفساد الواقع في البحر قلة استخراج اللؤلؤ من أصداف المحار في قاع البحر لقلة المطر، قال الطبري في تفسيره: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد ابن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ قال: قلت: هذا البرّ، والبحر أيّ فساد فيه؟ قال: فقال: إذا قلّ المطر، قل الغوص". (قلت): لعله يشير إلى الأثر الذي رواه الطبري في تفسير سورة الرحمن مِنْ غير وجه "عَنِ الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرازي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إن السماء إذا أمطرت، فتحت الأصداف أفواهها، فمنها اللؤلؤ»، وفي رواية: «إذا نزل القطر من السماء تفتحت الأصداف فكان لؤلؤا»، وفي أخرى بلفظ: «إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ»"، وجاء نحوه في تفسير ابن كثير لسورة الرحمن: "عن ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَتَحَتِ الْأَصْدَافُ فِي الْبَحْرِ أَفْوَاهَهَا فَمَا وَقَعَ فِيهَا، يَعْنِي مِنْ قَطْرٍ فَهُوَ اللُّؤْلُؤُ»". قال ابن كثير: "إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ"، (قلت): لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن، وعليه فإن معناه لا يصح وإن صح إسناده، إذ ثبت علميا أن اللؤلؤ يتشكل نتيجةً لدخول جسمٍ غريبٍ إلى جوف المحارة؛ فبفعل ترسب حبوب الرمال مثلا بين قشرة صدفتها وغلافها اللّحمي الرخو، حيث تتجمع لتصبح مادة مهيجة، فتبدأ المحارة باستشعار وجود حبيبات الرمال، ولأجل أن تحمي المحارة نفسها من هذا الدّخيل الصّغير، تحيطه فورا بإفراز مادّةٍ كلسيّةٍ لتغطيه طبقةً بعد طبقةٍ، وعندما يتم تراكم الطبقات فإن اللؤلؤ يتكون بعد أربع سنوات.

وهذا القول والذي سبقه مجاز في الفساد قاله النحاس[1].

القول الخامس: الفساد: ظهور ولاة السوء.

ويقال شيئان إذا صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية، ويُروى أن خليفة للمسلمين سأل أحد الصالحين وقال له: "كيف الزمان؟ فقال: أنت الزمان؛ فإن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان"[2].

القول السادس: يحتمل أن المراد بالفساد: "خوف الطوفان" في البر والبحر، قاله بعض المفسرين[3].

القول السابع: قيل ظهور الفساد في البر: بقتل أحد بني آدم لأخيه، يعني أن أول فساد ظهر في البر قتل قابيل أخاه هابيل. وفي البحر: ذكر أن أول معصية في البحر ملك جائر يأخذ كل سفينة تمر عليه غصبا –حتى ضرب به المثل قال الميداني في مجمع الأمثال: "أظلم من الجُلُنْدَي"–[4]، ذكره

---

[1] انظر: تفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير البحر المحيط: لابن حيان.

[2] نسبه ابن عبد ربه (العقد الفريد: 8/2) لمعن بن زائدة لما سأله أمير المؤمنين هارون الرشيد، ونسبه الجبرتي (تاريخ عجائب الآثار: 22/1) للأحنف بن قيس لما سأله معاوية.

[3] انظر: التفسير الكبير: للرازي.

[4] انظر: تفسير البحر المحيط: لابن حيان، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وتفسير جامع البيان: للطبري. (قلت): الجلندي هو الملك المذكور في سورة الكهف، وقصة السفينة=

الشوكاني منسوبا إلى مجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وقال: "وليت شعري أي دليل دلهما على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب؟ فإن الآية نزلت على محمد ﷺ"، وحكاه الآلوسي عن ابن عباس وعلق عليه بقوله: "ولعل المراد التمثيل".

ويرى الشوكاني أن كل هذه الأقوال هي "تخصيص لا دليل عليه"، وقال: "والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعا إلى أفعال بني آدم من معاصيهم، واقترافهم السيئات، وتقاطعهم، وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعا إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم، كالقحط، وكثرة الخوف، والموتان، ونقصان الذرائع، ونقصان الثمار".

وعلق القرطبي على هذه الأقوال قائلا: "والمعنى كله متقارب". وهو ما ذهب إليه الزحيلي في تفسيره المنير بقوله: "الفساد: الخلل في الأشياء، كالجدب

= في زمن موسى عليه السلام وبناء عليه فهو غير جلندى الذي كان قبل الإسلام بقليل وقيل أنه أدرك الإسلام فوجه الرسول ﷺ إليه برسالة مع عمرو بن العاص سنة 9 هـ/ 630 م، والراجح أن الجلندا لقب لملوك عمان، وقيل اسم لرجل من الأزد، وهو لفظ معرب اختلفت المصادر في رسمه والقصر فيه هو المشهور، ومن معانيه في اللغة العربية الفجور، وللدكتور حمد ابن صراي بحث قيم بعنوان: (الجلندى شخصية عابرة للتاريخ والأمكنة يكتنفها الغموض)، منشور بموقع البيان الإماراتي، بتاريخ: 5 أبريل 2018، رابط المقال:
https://www.albayan.ae/five-senses/culture/2018-04-05-1.3229423

والقحط وقلة النبات، وكثرة الحرق والغرق وأخذ المال ظلما وكثرة المضار وقلة المنافع".

وهل الفساد هنا يراد به الفساد الحسي أو يشمل الفساد الحسي والمعنوي؟

[قال العثيمين]: "الصحيح أنه يشمل الفساد الحسي والمعنوي، فالحسي مثل فساد الزروع بيبسها وتلفها بالعواصف والأمطار المغرقة والبرق المتلف وكذلك فساد المواشي بهلاكها ومرضها، وفساد الثمار بنقصها وما أشبه ذلك، والمعنوي هو كثرة المعاصي والفسوق"[1].

❁ قوله ﷻ: ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾

ذكر المفسرون في معنى ﴿ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ في هذه الآية، ستة أقاويل[2]:

القول الأول: أن البر: الفيافي ومواضع القبائل وأهل الصحاري والعمور، والبحر: جمع بحرة، أي: البلدة والأمصار والمدن والقرى العامرة، قاله عكرمة وقتادة، فإن العرب تسمي المدائن بحورا؛ لكون مبنى عمارتها على الماء،

[1] انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة الروم): للعثيمين، ص: 253، بتصرف.

[2] انظر: تفسير زاد المسير: لابن الجوزي، وتفسير النكت والعيون: للماوردي، وتفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية.

ويؤيد هذا قراءة عكرمة: "والبحور" بالجمع، ورويت عن ابن عباس[1]. وعليه مشى عفيف طباره.

ورجحه ابن كثير في تفسيره مستندا إلى السنة بقوله: "والقول الأول أظهر، وعليه الأكثرون، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة: أن رسول الله ﷺ صالح ملك أيلة، وكتب إليه ببحره، يعني: ببلده". قيل: ومنه قول سعد ابن عبادة في شأن عبد الله بن أبي بن سلول: "ولقد أجمع أهل هذه البحرة[2] على أن يتوجوه". يعني بالبحرة: مدينة يثرب. قال الطاهر بن عاشور: "وفيه بعد، وكأن الذي دعا إلى سلوك هذا الوجه في إطلاق البحر أنه لم يعرف أنه حدث اختلال في سير الناس في البحر وقلة فيما يخرج منه. وقد ذكر أهل السير أن قريشا أصيبوا بقحط وأكلوا الميتة والعظام، ولم يذكروا أنهم تعطلت أسفارهم في البحر ولا انقطعت عنهم حيتان البحر، على أنهم ما كانوا يعرفون بالاقتيات من الحيتان"[3].

القول الثاني: أن البر أهل العمود، والبحر أهل القرى والريف، قاله قتادة.

---

[1] انظر: تفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وقارن بتفسير البحر المحيط: لابن حيان.

[2] وعند الآلوسي في تفسيره: (البحيرة).

[3] انظر: تفسير التحرير والتنوير: لابن عاشور، وقارن بتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية.

القول الثالث: أن البر بادية الأعراب، قاله الضحاك والبحر الجزائر، قاله عطاء.

القول الرابع: أن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان من المدن والقرى على شط ماء نهر جار، قاله ابن عباس، والزجاج، ومجاهد، وقال معناه النحاس.

ولا يخفى أن هذا القول والذي سبقه متداخلان لقول مجاهد: البر: البلاد البعيدة من البحر، والبحر: السواحل والجزر والمدن التي على ضفة البحر والأنهار الكبار.

القول الخامس: أن المراد بالبر: أهل البوادي، وبالبحر: أهل المدن والقرى والريف، قاله قتادة، وقال معناه النحاس، وذكر نحوه ابن الجوزي في كتابه: (نزهة الأعين).

القول السادس: أن المراد ظهر البر –الأرض، الأمصار وغيرها– والبحر المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس، قاله الحسن بن أبي الحسن البصري، وبه قال الآلوسي في تفسيره قال: "وأيًّا ما كان فالبر والبحر على ظاهرهما"، وهو الظاهر عند ابن حيان، ورجحه ابن عطية مستندا إلى الأشهر لغة، وهو الصحيح عنده وعند ابن جزي، وهو الأولى عند الشوكاني، ورجحه القرطبي أيضا وعلق قائلا: "لا ما قاله بعض العباد المتعمقين في غوامض

المعاني وهو وجهان:

أحدهما: أن البر: النفس، والبحر: القلب، قال به القشيري في تفسيره: (لطائف الإشارات).

الثاني: أن البر: اللسان، والبحر: القلب؛ لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب[1]"، قال الماوردي: "وهو بعيد". وضعفه أيضا ابن جزي في تفسيره: (التسهيل).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عند الطبري في تفسيره ما رجحه مستندا إلى اللغة قائلا: "أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعا عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا. إذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار.

فتأويل الكلام إذن: إذا كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر". وقوله هذا ينحو نحو الجمع بين القول الأول والثالث

---

[1] انظر: تفسير جامع البيان: الطبري، وتفسير زاد المسير: لابن الجوزي، وتفسير النكت والعيون: للماوردي، وتفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير البحر المحيط: لابن حيان، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية.

والرابع والسادس. وهو ما يظهر جليا في قول الزحيلي في تفسيره المنير: "البر: الجزء اليابس من الأرض، والبحر: الجزء المائي، والمراد: في أهل البر سكان القرى والمدن والفيافي، وأهل البحر سكان السواحل، وركاب البحار".

وعليه مشى العثيمين قال: "الصواب أن المراد بالبر ما سوى البحر، والمراد بالبحر الماء؛ لأن ما ذكرناه هنا أعم مما ذكره المفسر [جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين] وغيره وهو الأظهر أيضا، فإن البحر إذا أطلق في القرآن يراد به الماء"[1].

ومن التفاسير الحديثة في ذلك، قول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره:

"**الفساد:** سوء الحال، وهو ضد الصلاح، ودل قوله ﷻ: ﴿فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ على أنه سوء الأحوال فيما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها.

ثم التعريف في الفساد: إما أن يكون تعريف العهد لفساد معهود لدى المخاطبين.

---

[1] انظر تفسير القرآن الكريم (سورة الروم): للعثيمين، ص: 254، بتصرف بسيط.

وإما أن يكون تعريف الجنس[1] الشامل لكل فساد ظهر في حيز الأرض برها وبحرها أنه فساد في أحوال البر والبحر، لا في أعمال الناس بدليل قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفساد البر: يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل: حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض.

وفساد البحر: كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان، فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس".

"وفي ذكر الفساد في البحر تصوير دقيق لواقعنا اليوم إذ لم يكن معهودا من قبل فقد كثرت الفواحش والمنكرات وأصبحت النساء تستحم عاريات ونصف

---

[1] قال الآلوسي في تفسيره: و(أل) في الفساد للجنس أي ظهر جنس الفساد من الجدب والمَوَتَان ونحوهما في جنس البر وجنس البحر بما كسبت أيدي الناس أي بسبب ما فعله الناس من المعاصي والذنوب وشؤمه وهذا كقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30] وهو على تفسير الفساد بالجنس ظاهر.

عاريات بالإضافة إلى ذلك ما يحصل في السفن السياحية من منكرات يندى الجبين من ذكرها، فذكر الفساد في البحر بجانب الفساد في البر لهو نبوءة للقرآن لما سيحصل في المستقبل من فساد في البحر"[1].

وهل الفساد في أعمال الناس؟ أم في أحوال ما يحيط بهم وينتفعون به؟

فدل على الأول قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ودل على الثاني قوله ﷻ: ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، وظاهر كلام المفسر الطاهر بن عاشور في تفسيره أن الثاني هو الراجح.

وفصَّل الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة ذلك في تفسيره: (معارج التفكر ودقائق التدبر)، مركزا على معنى تلوث البيئة؛ لأن كلمة فساد تشمل "التلوث والتغيرات المناخية" كالجدب أي: التصحر وكل شيء جاوز الحد، قال ﵀: "وجاء التعبير بالفعل الماضي في قوله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ مع أنه لم يكن قد ظهر هذا الفساد إبَّان تنزيل هذا البيان الرباني؛ للدلالة على أن هذا الفساد سيظهر حتما في مستقبل الناس، فتحققه في المستقبل بالنسبة إلى العلم الرباني بمثابة تحققه في الماضي؛ لأن علم الله لا يختلف. وهذه الآية من معجزات القرآن الخبرية التي تحدثت عما سيكون، كالذي جاء في أوائل هذه السورة".

---

[1] انظر: تفسير سورة العصر، لعفيف طباره: (روح القرآن الكريم، جزء: العنكبوت).

❁ قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ﴾

مادة "(كسب): الكواسب: الجوارح، وكَسَابِ: اسم للذئب. وكسبت المال: أصبته. المعنى المحوري: جمع الشيء وتحصيله (شيئا بعد شيء) بجهد ما أخذا من حيث كان: كما تأخذ الجوارح (الكلاب والطيور المعلَّمة الصيدَ) فرائسها (مرة بعد أخرى)، وكما يجمع المال من مظانه (شيئا بعد شيء). ومنه: الكسب: طلب الرزق. [...] واستعملت في كسب الحرام، [...] وعمم فقيل في تفسير الكسب: "جر خيرا أو شرا"، [...] وكثرت في غير الخير، لما في الأصل من معنى الجهد، وصيغة الافتعال تقوي ذلك ولا تخلقه"[1].

وفي قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ﴾ ثلاثة أقوال:

القول الأول: الباء في قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ للسببية، تقديره: "جزاء ما كسبته أيدي الناس"، أي: جزاء لهم بسبب أعمالهم (من معاصي وذنوب وخطايا وانتشر الظلم في البر والبحر)، وبه قال السدي[2] وانتصر له الطاهر

---

[1] انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، ص: 1894-1893، بتصرف.

[2] نقله عن السدي ابن الجوزي في تفسيره: زاد المسير، والماوردي في تفسيره: النكت والعيون، وابن حيان في تفسيره: البحر المحيط، وانظر: تفسير المحرر الوجيز: لابن عاشور، وقارن بتفسير جامع البيان: للطبري، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية.

ابن عاشور وقال: "وأعظم ما كسبته أيدي الناس من الأعمال السيئة الإشراك، وهو المقصود هنا، وإن كان الحكم عاما"، وعلى هذا الوجه يكون محمل الباء لقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: 30].

وذكر ابن عطية في تفسيره **احتمال قول ثان** ونقله عنه ابن حيان في تفسيره وهو: أن تتعلق الباء بـ: ﴿ظَهَرَ﴾ أي: كسبهم المعاصي في البر والبحر هو نفس الفساد الظاهر.

بينما جوز الطاهر بن عاشور في تفسيره **احتمال قول ثالث** وهو: "أن يكون المعنى أن الله ﷻ خلق العالم على نظام محكم ملائم صالح للناس، فأحدث الإنسان فيه أعمالا سيئة مفسدة، فكانت وشائج لأمثالها: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه فأخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم". واستطرد قائلا: "وأيا ما كان الفساد من معهود [معين لدى المخاطب] أو شامل [ليعم جميع اسم جنس الفساد]، فالمقصود أن حلوله بالناس بقدرة الله كما دل عليه قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾، وأن الله يقدر أسبابه تقديرا خاصا؛ ليجازي من يغضب عليهم على سوء أفعالهم. وهو المراد "بما كسبت أيديهم"؛ لأن إسناد الكسب إلى الأيدي جرى مجرى المثل في فعل الشر والسوء من الأعمال كلها، دون خصوص ما يعمل منها بالأيدي؛ لأن ما يكسبه الناس يكون بالجوارح الظاهرة كلها، وبالحواس الباطنة من العقائد الضالة والأدواء النفسية".

وبنحوه عند الشعراوي في تفسيره قال: "وما دام الحق ﷻ قال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ فلا بد أن الفساد جاء من ناحيتهم، وبالله هل اشتكينا أزمة في الهواء مثلا؟ لكن نشتكي تلوث الهواء بما كسبت أيدي الناس، أما حين نذهب إلى الخلاء حيث لا يوجد الإنسان، نجد الهواء نقيا كما خلقه الله ... وقوله ﷻ: ﴿كَسَبَتْ﴾ عندنا: كسب واكتسب، الغالب أن تكون كسب للحسنة، واكتسب للسيئة؛ لأن الحسنة تأتي من المؤمن طبيعة دون تكلف أو افتعال، فدل عليها بالفعل المجرد (كسب). أما السيئة، فعلى خلاف الطبيعة، فتحتاج منك إلى تكلف وافتعال، فدل عليها بالفعل المزيد الدال على الافتعال (اكتسب)... [وأما في هذه الآية] فجعل السيئة كسبا لا اكتسابا. قالوا: لأن السيئة هنا صارت عادة عنده، وسهلت عليه، حتى صارت أمرا طبيعيا يفعله ولا يبالي كالذي يفعل الحسنة، وهذا النوع والعياذ بالله أحب السيئة وعشقها، حتى أصبح يتباهى بها ولا يسترها ويتبجح بفعلها"[1].

---

[1] ويحضرنا في هذا المقام نكتة للدكتور الفاضل السامرائي في الفرق بين قوله ﷻ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ و﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال: "التقديم أن تعطي وتقدم مما عندك، أما الكسب فأن تجمع وتأخذ بنفسك". هذا ويتعلق كلام الشعراوي والقول الذي قبله للطاهر ابن عاشور بفساد المُكَلَّفِ: -ويعرف في علم الكلام بأنه- "اخْتِيَارُهُ فِعْلَ مَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ تَعَالَى"، انظر: مادة (فساد) بمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، رابط الموقع الإلكتروني: https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF

وقوله ﷻ: ﴿أَيْدِى﴾ "جمع يد والمراد ما كسبوا، وهذا من أساليب اللغة العربية أن يعبر باليد عن صاحب اليد، وليس المراد ما كسبت اليد فقط، ... فيكون المراد بالأيدي هنا الأنفس، لا اليد التي هي عضو من أعضاء البدن"[1].

وفي قوله ﷻ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾: "يجري حكم تعريف الناس على نحو ما يجري في تعريف الفساد من معهود لدى المخاطبين أو شامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها، فالمعهود هم (المشركون) وقد شاع في القرآن تغليب اسم الناس عليهم"[2].

❁ قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾؛ فقرأ ذلك الجمهور (عامة قراء الأمصار) ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء، بمعنى: ليذيقهم الله بعض الذي عملوا، ومعاد الضمير قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: 40]. وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي وعكرمة، وقتادة، وابن محيصن، وروح عن يعقوب، وقنبل عن ابن كثير: قرؤوا ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك. على التعظيم، أي: ﴿نُذِيقَهُم﴾ عقوبة بعض ما عملوا[3].

---

[1] انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة الروم): للعثيمين، ص: 255، بتصرف بسيط.

[2] انظر: تفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، بتصرف.

[3] انظر: تفسير جامع البيان: للطبري، وتفسير جامع أحكام القرآن: للقرطبي، وتفسير =

ومعنى الذَّوق: "وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر، فإنّ ما يكثر منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذّوق في العذاب؛ لأنّ ذلك –وإن كان في التّعارف للقليل– فهو مستصلح للكثير، فخصّه بالذّكر ليعمّ الأمرين"[1].

واللام في قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ متعلقة بظهر وهي لام التعليل أو العاقبة، ويكون محمل اللام على (الشرك) والمعنى: فأذقناهم بعض الذي عملوا، فجعلت لام العاقبة في موضع الفاء ....، أي: فأذقنا الذين أشركوا بعض ما استحقوه من العذاب لشركهم. وهو قول من أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها، لا أن الذنوب سبب الفساد الذي ظهر، أي: إن المراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد، فكلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم عقوبة[2].

"ومعنى قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ على تفسير الفساد بالجنس ظاهر وهو أن الله تعالى قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها

= التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، وتفسير المحرر الوجيز: لابن عطية، وتفسير زاد المسير: لابن الجوزي.

[1] انظر: مادة (ذوق) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني.

[2] قارن بتفسير التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، والجواب الكافي لمن سأل عن الداء والدواء الشافي: لابن قيم الجوزية، ص: 74.

وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه.

وأما على تفسير الفساد بالمعاصي فاللام مجاز على معنى أن ظهور المعاصي بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله تعالى وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكأنهم إنما فسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الأرض لأجل ذلك"[1].

والعثيمين في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ قال: "يعبر دائما بالإذاقة عن الإصابة؛ لأن الذوق هو أعلى أنواع الإدراك الحسي، فإن الإنسان يسمع بالشيء ثم يراه ثم يذوقه، أقول لك عندي تفاحة إدراكك للتفاحة الآن بالسماع ثم أخرجها وأريك إياها يكون بالرؤية، والرؤية أقوى من السماع ثم أعطيكها فتأكلها فيكون هذا بالذوق وهذا أعلى ما يكون؛ لأني إذا قلت عندي تفاحة ولم ترها أنت يحتمل أن قولي هذا كذب، وإذا أريتك إياها ولكنك ما ذقتها يحتمل أن تكون نباتا آخر يشبه التفاحة ويحتمل أن تكون من التفاح الصناعي الذي يصنعونه من البلاستيك تشاهده كأنه تفاح حقيقي، فإذا ذقتها صارت حق اليقين؛ ولهذا يعبر الله ﷻ دائما عن الإصابة بالإذاقة لأنها أعلى أنواع الإدراك".

وأوضح الشعراوي في تفسيره أن "الإذاقة هنا عقوبة، لكنها عقوبة الإصلاح".

---

[1] انظر: تفسير الآلوسي.

واختلف المفسرون في معنى البعضية في قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ على قولين:

القول الأول: أن المراد "الجزاء على بعض العمل السيء"، وتقديره: ليذيقهم عقاب "بعض" الذي عملوا من المعاصي، فحبس الله عنهم الغيث وأغلى سعرهم جزاء معجلا في الدنيا فالقحط جزاء، ونقصان البركة جزاء؛ لأن معظم الجزاء مؤجل في الآخرة. فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء؛ لأن ذلك ليس تمام جزائهم، ليذيقهم عذاب بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بها جميعا في الآخرة. لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر: 45]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، وهذا حق لو أن الله ﷻ عاقب الناس بقدر ذنوبهم ما ترك عليها من دابة، كان كل الناس يموتون ولا يبقون ولكنه ﷻ يصيبهم ببعض ذنوبهم فقط. وبه قال النحاس والطبري والقرطبي وابن حيان وابن الجوزي وابن قيم الجوزية والماوردي والشعراوي والعثيمين.

والقول الثاني: أن المراد: "بعض الجزاء على جميع العمل"، أي: إن بعض الذي عملوا أطلق على جزاء العمل؛ ولذلك فالبعضية تبعيض للجزاء، أي: إن ما يذيقهم من العذاب هو بعض ما يستحقونه. وفي هذا تهديد إن لم يقلعوا عن مساوئ أعمالهم كقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ

عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: 45]، ثم وراء ذلك عذاب الآخرة كما قال ﷻ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: 127]. وبه قال الطاهر بن عاشور ونفى الأول.

ومن الإعجاز البياني في الآية ما ذكره الطاهر بن عاشور في تفسيره قائلا: "والإذاقة: استعارة مكنية، شبه ما يصيبهم من الآلام فيحسون بها بإصابة الطعام حاسة المطعم. ولما كان ما عملوه لا يصيبهم بعينه تعين أن بعض الذي عملوا أطلق على جزاء العمل ... والعدول عن أن يقال: بعض أعمالهم إلى بعض الذي عملوا؛ للإيماء إلى ما في الموصول من قوة التعريف، أي: أعمالهم المعروفة عندهم المتقرر صدورها منهم".

و"قد يقول قائل: لماذا عبر -ﷻ- عن العقوبة بالفعل؟

فنقول: عبر عن العقوبة بالفعل في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ لوجهين:

الوجه الأول: بيان سبب هذه العقوبة وأن سبب العقوبة هذا العمل.

الوجه الثاني: أن هذه العقوبة بقدر العمل تماما ولذلك عبر عنها بالعمل إشارة إلى أنها بقدره ليس فيها ظلم، وهذا كثير في القرآن، يعبر الله ﷻ عن العقوبة بالفعل من أجل هذين الوجهين"[1].

---

[1] انظر تفسير القرآن الكريم (سورة الروم)، للعثيمين.

۞ قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قال العثيمين: "(ولعل) هنا للتعليل، وكلما جاءت (لعل) في كلام الله فإنها للتعليل أو توقع الشيء إذا كان من المتوقع؛ أي: لأجل أن يرجعوا إلى الله ﷻ، وهذه من حكم الله، أن الله تعالى يبتلي العباد بالضراء لأجل أن يرجعوا إلى الله".

﴿يَرْجِعُونَ﴾ الرُّجُوعُ: العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا، أو قولا، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله. فَالرُّجُوعُ: العود، والرَّجْعُ: الإعادة. والمعنى المحوري لمادة (رجع): تحول عن الاتجاه أو الحال إلى عكسه، وكل ما في القرآن من التركيب فهو بمعنى الرجوع العود، وكل ما في القرآن من (ترجع، ترجعون، يرجع، راجعون، مرجعكم، مرجعهم) فهي إلى الله ﷻ[1].

وفي المشار إليهم بلعلهم يرجعون قولان:

أحدهما: أنهم الذين أُذيقوا الجزاء. ثم في معنى رجوعهم ثلاثة أوجه:

---

[1] قارن بمادة (رجع) في: مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، ص: 763-764، ومخطوطة الجمل: لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل: 175/2.

الوجه الأول: يرجعون [من التكذيب والكفر والشرك إلى الإيمان وعن المعصية] **إلى الطاعة،** قاله أبو العالية ويحيى بن سلام في تفسيره وبنحوه مقاتل ابن سليمان في تفسيره.

والوجه الثاني: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم، ورواه عنه الطبري بسنده في تفسيره.

والوجه الثالث: لعلهم يرجعون "لعلهم يتوبون"[1]. رواه الطبري في تفسيره بسنده عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

وقد ذهب إلى الجمع بين هذه الأقوال الإمام الطبري فقال في تفسير قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: "كي ينيبوا إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

والقول الثاني: أنهم الذين يأتون بعدهم؛ فالمعنى: لعله يرجع من بعدهم، قاله أيضا الحسن بن أبي الحسن البصري من طريق قرة[2].

واختلفوا في الرجاء المستفاد من ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على قولين:

---

[1] انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن: لقرطبي.

[2] انظر: تفسير زاد المسير: لابن الجوزي، وتفسير النكت والعيون: للماوردي.

أولهما للطاهر بن عاشور قال: "الرجوع مستعار للإقلاع عن المعاصي كأن الذي عصى ربه عبد أبق عن سيده، أو دابة قد أبدت، ثم رجع.

والرجاء المستفاد من (لعل) يشير إلى أن: ما ظهر من فساد كاف لإقلاعهم عما اكتسبوه، وأن حالهم حال من يرجى رجوعه فإن هم لم يرجعوا فقد تبين تمردهم وعدم إجداء الموعظة فيهم، وهذا كقوله ﷻ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: 126]".

قال ابن عطية: "وقد جعل الله هذه الأشياء [ارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر]؛ ليجازي بها على المعاصي فيذيق الناس عاقبة إذنابهم لعلهم يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله ﷻ". وعن قتادة ابن دعامة –من طريق سعيد– قال: "﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل راجعا أن يرجع، لعل تائبا أن يتوب، لعل مستعتبا أن يستعتب"[1].

وثانيهما للرازي قال: "وقوله: لعلهم يرجعون أي: لعلهم يرجعون عما هم فيه. يعني كما يفعله المتوقع رجوعهم مع أن الله يعلم أن من أضله لا يرجع لكن الناس يظنون أنه لو فعل بهم شيء من ذلك لكان يوجد منهم الرجوع"[2].

---

[1] انظر: تفسير جامع البيان: للطبري، وموسوعة التفسير بالمأثور.

[2] انظر: التفسير الكبير: للرازي، (قلت): وهذا الرأي يناسب القول الثاني في المشار إليهم بلعلهم يرجعون المذكور سابقا في: ص: 81.

"ومن هداية الآية: أن السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات، ترتبط بكسب البشر وعملهم ومواقفهم، ولذلك ما ذكر الله أمة دمرها أو عاقبها إلا ذكر بجانب العقوبة والتدمير جريمتها وذنبها،... قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ هذه العقوبة، وهي سنة إلهية، مرتبطة بالكسب البشري، بدليل قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ فمن الحقائق الكونية التي تقررها الآية لمفهوم الفساد في الأرض أنه لا يقع إلا بسبب من الناس، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ دلت الآية على أن الذنوب من جملة أسباب المصائب الدنيوية، وأن الله يجازي بالذنوب ويعاقب عليها في الدنيا بأنواع المصائب، من الألم والحرمان، والشقاء والقلة، والأذى والعلة. فدل قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ على أن الضرر الحاصل من هذا الفساد نزل منزلة العقوبة.

ومن ثم فإن هذه الآية الكريمة من آيات الإعجاز العلمي والغيبي؛ لأنها تنبأت بظهور الفساد الذي يصيب البر والبحر، كما حددت المسؤول عن هذا الفساد، وهو الإنسان؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق إمكانية تصور الواقع الحالي للأرض من تلوث بيئي والقضاء على كثير من مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية بسبب الحضارة الصناعية من قبل ألف وأربعمائة من السنين مما يعد اكتشافا علميا وإعجازا قرآنيا. وهذا لا يتعارض مع التفسير القديم للآية فكل سواء المفسرون القدامى أم المفسرون المعاصرون قد فسر الآية بمعطيات عصره.

فمن إعجاز القرآن الكريم أن تصف آية واحدة ما أصاب البيئة اليوم من تلوث وفساد، وللمرة الأولى نجد أن الإنسان قد أسهم في تغيير مناخ العالم، وانتشار فيروس كورونا (كوفيد 19)، وأن فساد البشر هو الذي أدى لذلك. يقول المولى ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ حقا لقد ظهر الفساد ومن مظاهر هذا الفساد الذي نخر في أجواء بلاد العالم "كورونا" التي ما زالت تحوم في عالمنا وتفتك في البشر وتتكاثر يوما بعد يوم. إذا كان كورونا من صنع البشر في ظل ما قيل، فهو تفسير منطقي للآية القرآنية؛ لأنه حينما أفسد البشر كانت النتيجة، وباء منتشرا لا يستطيع أحد إيقافه، وهو ما يؤكده قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ والحالة التي يعيشها الناس من خوف ورعب وإصابات ووفيات بالآلاف، تلك تفسير منطقي لقوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ فإذا كان الأمر كذلك، فإن الله رحمة بالناس لم يتركهم لأنفسهم كيف يتصرفون، وإنما وضع لهم الحل سريعا، لكن كثيرا منا لم ينتبه لبقية الآية، وهو قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وهكذا تضع الآية علم البيئة في الميزان، واصفة مشكلات البيئة وصفا معجزا حيث يتضح من التدبر في الآية علاقة المصائب بالمعاصي، أو علاقة الكساد بالكسب؟ أو علاقة الشر بالبشر، من خلال أربعة محاور رئيسة وهي:

أولا: مشكلة ظهور الفساد في البر والبحر: وهو ما يعبر عنه اليوم بالتلوث البيئي، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾.

ثانيا: سبب ظهور الفساد الموجب لوقوع تلوث البيئة اليوم: هو الإنسان بمعصيته لله وترك طاعته ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ﴾.

ثالثا: حكمة الله من ظهور الفساد ووجوده: وهي انعكاس آثار الفساد سلبا على الناس وما يسببه من أذى لهم فيذوقوا سوء أفعالهم يوميا: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾.

رابعا: الغاية من ظهور الفساد: هو علاج ذلك التلوث البيئي وطريقة الإصلاح أن يقلع الناس عن الفساد ويعودون إلى ربهم: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾"[1].

من فوائد الآية الكريمة[2]:

الفائدة الأولى: أن الفساد سببه أعمال بني آدم لقوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ﴾ ويدل لهذا أيضا قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ الۡقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوۡا لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالۡأَرۡضِ وَلَـكِنۡ كَذَّبُوا فَأَخَذۡنَاهُمۡ بِمَا كَانُوا يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

---

[1] قارن بمقال: نفي الإعجاز العلمي عن قوله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾، نقلا عن: (نقض النظريات الكونية، لأبي نصر عبد الله الإمام)، موقع بيان الإسلام، ومقال: آيات الإنسان والبيئة في القرآن، لحسني حمدان الدسوقي حمامة، موقع الألوكة.

[2] انظر تفسير القرآن الكريم (سورة الروم): للعثيمين، بتصرف بسيط.

الفائدة الثانية: إثبات العلل والأسباب وأن أفعال الله ﷻ معللة لا بد لها من علة تؤخذ من قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ ولا شك أن أفعال الله تعالى وأحكامه معللة لأن من أسمائه الحكيم.

الفائدتان الثالثة والرابعة: أن الناس لا يعاقبون إلا بأسبابهم لقوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ فيتفرع عن ذلك أن من أراد أن ترفع عنه العقوبة فليتب إلى الله؛ فإن التوبة من أسباب رفع العقوبة وجلب المثوبة.

الفائدة الخامسة: أن الجزاء من جنس العمل وبقدر العمل؛ لقوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾.

الفائدة السادسة: بطلان مذهب الجبرية، فالجبرية يقولون إن الإنسان مجبر على عمله لا يفعل باختياره ولا يضاف الفعل إليه إلا على سبيل المجاز، فيقال صام، زكى مجازا لا حقيقة، الآية الكريمة ترد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ فأضاف الكسب إلى أيدي الناس.

الوجه الثاني: أن الله تعالى عاقبهم على هذا الفعل ولو كانوا مجبرين عليه لكانت عقوبتهم ظلما لهم، إذ كيف يعاقبون على ما ليس باختيارهم.

ففيها رد من وجهين؛ وجه لفظي وهو إضافة الكسب إلى أيديهم، ووجه

معنوي وهو أنه يلزم من عقوبتهم على ذلك لو كانوا مجبرين أن يكون الله تعالى ظالما لهم، والله تعالى ليس بظلام للعبيد وكذلك أيضا يؤخذ من قوله ﷻ: ﴿عَمِلُواْ﴾ حيث أضاف العمل إليهم.

الفائدة السابعة: بيان سعة رحمة الله وأن رحمته سبقت غضبه؛ لقوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾، ولو أن الغضب كان بقدر الرحمة لكان الله يذيقنا كل الذي عملنا، ولو كان غالبا للرحمة لكان يذيقنا أكثر مما عملنا، فالأمور ثلاثة: إذاقة البعض أو المثل أو الأكثر، والمثل أو الأكثر ممتنع، وإنما يذيق الله تعالى البعض لأنه ثبت في الحديث الصحيح: «أن الله تعالى كتب كتابا عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبى» [أخرجه البخاري في صحيحه]، ولولا هذا لكان الله تعالى يؤاخذ الناس بما عملوا.

الفائدتان الثامنة: أن العقوبات قد تكون سببا للرجوع إلى الله لقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

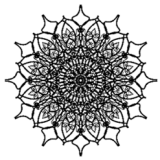

الخاتمة

إن ما نعيشه اليوم من خسائر في الأنفس والأموال؛ نتيجة الأمراض والحروب وتضخم بسبب الركود الاقتصادي وتصحر وجفاف وفيضانات، لهو عقاب على تفشي الفساد من تعاملات ربوية وشذوذ جنسي وإلحاد ومعصية للخالق، وللخروج من تيه هذا المستنقع الآسن لا بد من الرجوع إلى طاعة الله بتجديد الإيمان علميا، وتقويته عمليا بالأعمال الصالحة، وإعلاء كلمة الحق، ولزوم الصبر على ذلك، فالمعاصي سبب من أسباب الفساد في البر والبحر، والطاعات سبب من أسباب صلاحهما، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: 11]، فالفساد سبب للعقاب فإذا مس الإنسان ضر فليتضرع لله تائبا.

ومن الأساليب القرآنية في محاربة الفساد عدم سلوك مسالك أهله، ومن صفات المفسدين في القرآن سفك الدماء: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30]،

قال الجاحظ (البيان والتبين: 89/1): "إن الفساد أسرع إلى الناس، وأشد التحاما بالطبائع"، لذلك نهى القرآن عن الفساد وأمر باجتنابه، فإن الله لا يحب المفسدين الذين يسعون في الأرض؛ ليعثوا فسادا، فأولئك هم الخاسرون، يسفكون الدماء، ويهلكون الحرث والنسل، ويحاربون الله ورسوله، ويهددون النظام

الكوني بإشاعة الشذوذ الجنسي وضياع النظام الأسري وانقراض الجنس البشري، فلينظر الإنسان كيف كانت عاقبة المفسدين ولا يتبع سبيلهم. لعنهم الله ولهم سوء الدار، فلا تهاون مع الفساد ولا تعاون مع المفسدين، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: 33]، صدق الله العظيم.

تم بحمد الله

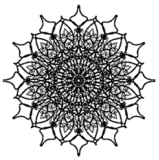

قائمة المصادر والمراجع[1]

- **الكتب:**

1. **الإجماع في التفسير**، لمحمد الخضيري، دار الوطن للنشر، 566 ص، (نسخة مصورة).

2. **أحكام القرآن**، لمحمد بن العربي المعافري المالكي (ت 543 هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثة وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/3– 2003 م، 4 ج.

3. **الأساس في التفسير**، لسعيد حوّى (ت 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، ط/6– 1424 هـ، 11 ج.

4. **الأصول الثلاثة وشروط الصلاة والقواعد الأربعة**، لمحمد بن عبد الوهاب، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، [د. ت]، 19 ص.

5. **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، لابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة – مصر، ط/1– 2002 م، 576 ص.

6. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط/1– 1420 هـ، 10 م.

7. **البيان والتبين**، للجاحظ (ت 255 هـ)، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ط/ 1423 هـ، 3 ج.

8. **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت

[1] لقد رجعنا إلى عشرات التفاسير القديمة والحديثة، منها المشهورة ومنها المغمورة وفيها التي فسرت فقط سورة العصر، وبما أن جلها استنساخ عن بعضها البعض فقد اكتفينا بذكر المصادر الأصلية التي نقلنا عنها حتى لا يكون ثبت المراجع بحجم متن التفسير.

1237 هـ)، دار الجيل – بيروت، [د. ت]، 3 ج.

9. **تأويلات أهل السنة**، تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت 333 هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/1– 2005، 10 م.

10. **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، صححه وعلق عليه: طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1972 م، 279 ص.

11. **تحرير** المعنى السديد **وتنوير** العقل الجديد من **تفسير** الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393 هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، ط/1– 1984 هـ، 30 ج.

12. **التسهيل لعلوم التنزيل**، تفسير لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي، تحقيق رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية – بيروت، ط/1– 2003 م، 4 م.

13. **التفسير البياني للقرآن الكريم**، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت 1419 هـ)، دار المعارف – القاهرة، ط/7، [د. ت]، 2 ج.

14. **التفسير الحديث** [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط: 1383 هـ.

15. **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت 774 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/1– 2004 م، 4 م.

16. **تفسير القرآن الكريم: جزء عم** وفيه سورة العصر، لمحمد بن صالح العثيمين، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (1)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر – الرياض، ط/2 – 2002 م، 356 ص.

17. **تفسير القرآن الكريم: سورة الروم**، لمحمد بن صالح العثيمين، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (138)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – القصيم، ط/1 – 1436 هـ، 358 ص.

18. **تفسير المراغي**، لأحمد المراغي (ت 1371 هـ)، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/1– 1946 م، 30 ج.

19. **التيسير العجيب في تفسير الغريب**، لناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد المالكي الإسكندراني المعروف بابن المنير (ت 683 هـ/ 1284 م). تحقيق سليمان ملا إبراهيم أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط/1– 1994 م، 285 ص.

20. **جامع البيان في تأويل القرآن**، تفسير لمحمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، بتحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1– 2000 م، 24 ج.

21. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (ب 671 هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/2– 1964 م، 10 م.

22. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1987 م، 296 ص.

23. **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، تفسير لمحمد الأمين الهرري الشافعي، راجعه د. هاشم محمد علي، دار طوق النجات، بيروت – لبنان، ط/1– 2001 م، 33 ج.

24. خواطر **تفسير** محمد متولي **الشعراوي** (ت 1418 هـ)، مطبعة أخبار اليوم، 1997 م، 20 ج.

25. **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471 هـ)، تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح الفرحان)، القسم الثاني (محمد أديب شكور أمرير)، دار الفكر، عمان – الأردن، ط/1– 2009 م، 2 ج.

26. **دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها** مع خرائط ذهنية للسور القرآنية تعين على فهم السورة وحفظها، لعمر علي حسان عرفان، مؤسسة الرسالة ناشرون،

دمشق– سوريا، ط/1– 2018، 816 ص.

27. **روح القرآن الكريم تفسير جزء العنكبوت** وفيه سورة الروم، لعفيف عبد الفتاح طبَّاره، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط/ 1– 1990، 156 ص.

28. **روح القرآن الكريم تفسير جزء عم** وفيه سورة العصر، لعفيف عبد الفتاح طبَّاره، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط/ 11– 2001، 205 ص.

29. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تفسير شهاب الدين محمود الألوسي (ت 1270 هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1415 هـ، 16 ج.

30. **رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين**، للنووي (ت 676 هـ)، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه: علي الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط/1– 1421 هـ، 680 ص.

31. **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط/1– 2002 م، 1432 ص.

32. **العقد الفريد**، لابن عبد ربه (ت 328 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1404 هـ، 8 ج.

33. **فتح القدير**، تفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله **الشوكاني** اليمني (ت 1250 هـ)، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت ط/1– 1414 هـ.

34. **في ظلال القرآن**، تفسير سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط/32– 2003 م، 6 م.

35. **محاسن التأويل**، تفسير لمحمد جمال الدين القاسمي (ت 1332 هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1418 هـ، 9 ج.

36. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

(ت 541 هـ)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط/1– 2002 م، 2019 ص.

37. **مخطوطة الجمل** معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، لحسن عز الدين بن حسين ابن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط/1– 2003–2008 م، 5 ج.

38. **معارج التفكر ودقائق التدبر** [مرتب حسب ترتيب النزول]، تفسير لعبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم – دمشق، ط/1– 2006 م، 15 ج.

39. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم:** مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، أ. ذ: محمد حسن حسن جبل/ مكتبة الآداب – القاهرة، ط/1– 2010 م، 4 م.

40. **معجم مفردات ألفاظ القرآن،** للراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت – لبنان، [د. ت]، 727 ص.

41. **مفاتيح الغيب التفسير الكبير،** لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/3– 1420 هـ، 32 ج.

42. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة،** لابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، حققه هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، [د. ت]، 1 م.

43. **مفردات القرآن** (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)، لعبد الحميد الفراهي الهندي (ت 1349 هـ)، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط/1– 2002 م، 480 ص.

44. **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،** لمجموعة من الباحثين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط/1– 2019، 36 ج.

45. **موسوعة التفسير بالمأثور،** إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بجدة، بإشراف د. مساعد الطيار، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط/1– 2017

م، 24 م.

46. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (ت 597 هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط/1– 1984 م.

47. **النكت والعيون؛ تفسير الماوردي**، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450 هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، [د. ت]، 6 ج.

48. **واحة التفسير**، لأحمد الطويل، الدار العالمية للنشر والتجليد، ط/1– 2016 م، 15 م.

- **المجلات:**

ذخيرة القصر في تفسير سورة العصر، للإمام محيي الدين الكافِيَجي الحنفي (ت 879 هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السيد عبد العظيم النشاوي، المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، ع: 3، ص: 506–609.

- **المواقع الإلكترونية:**

1. **مجلس مذاكرة تفسير سورة العصر**، موقع معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد رابط صفحة الموقع: http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=43699

2. **تفسير بياني لسورة العصر**، أبو عبد المعز، مقال منشور في: 2013/05/13 – 20/09/2014، بملتقى أهل التفسير.

فهرس المحتويات

المقدمة:..... 3

تفسير سورة العصر 6

تفسير آية الفساد في سورة الروم..... 56

الخاتمة..... 91

تفسير مبسط لسورة العصر..... 92

قائمة المصادر والمراجع 93

عنوان الكتاب: **فساد البلاد وخسر العباد في العصر والروم**
العنوان الفرعي: **تفسير سورة العصر وآية من سورة الروم**
المؤلف: **كريم امصنصف**
الناشر: **العلم للنشر – ألمانيا.**
www.al-ilm-publishing.com
تاريخ النشر: **الطبعة الأولى 2022 م.**
ردمك: **978-613-6-31467-9**
الموزع:
www.morebooks.de

التجارة الرابحة في عصر فساد البلاد وخسر العباد

تفسير موضوعي لسورة العصر وآية الفساد في سورة الروم

تفسير جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير، جامع لعيون الأقوال، لمشاهير المفسرين، مع الاختصار والترتيب، واختيار أصح وأرجح الأقوال، بأسلوب واضح.

التعريف بالمؤلف

- أذ. كريم امصنصف: باحث شرعي مستقل.
- مغربي من مواليد 1979 بمكناس.
- رقم معرف الباحث: arid.my/0001-7902
- مدرس علوم القرآن والتفسير بالتعليم العتيق.
- مدرب معتمد بالأكاديمية العربية الدولية للتعليم العالي (سابقا).
- عضو بملتقى أهل التفسير.
- مجاز في الدراسات الإسلامية، 2004 م.
- حاصل على دبلوم القرآن وعلومه من أكاديمية البلدة الطيبة، 2022.
- حاصل على دبلوم متوسط في الدراسات القرآنية من أكاديمية تفسير، 2022.
- حاصل على العديد من الشهادات التكوينية في مساقات التفسير وعلوم القرآن منها:

– أساسيات علوم القرآن من منصة زادي للتعلم الشرعي (2021).

– قواعد التفسير تأصيل وتطبيق من منصة زادي للتعلم الشرعي (2020).

– مقدمات في علوم القرآن من منصة زادي للتعلم الشرعي (2018).

– تفسير القرآن الكريم من مركز تفسير للدراسات القرآنية عبر منصة زادي للتعلم الشرعية (2016-2018).

- حاصل على وسام ناشر متميز من أريد (2018)، ومن مؤلفاته في التفسير:

– سورة الفاتحة (تفسير موضوعي في ضوء عبادة الدعاء).

– بيان آلاء أولياء الرحمن في الجنان (تفسير تحليلي لخواتيم سورة الرحمن).

كتبنا للملايين بلا ملاليم

EBIN: 1-71-7-221010

كريمكناس 79 ناشرون

الخاصة والمحدودة للنشر الإلكتروني الحر

karimeknes79.editeurs@gmail.com

karimeknes79editeurs@yahoo.com